فلسفة

الميثاق والولاية

تأليف

السيد عبدالحسين شرف الدين

تحقيق

علي جلال باقر الداقوقي

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء..

إلى الذي أخذ الله تعالى له المواثيق من الإنس والجانّ
بالنبوّة وأشهدهم على أنفسهم..
إلى الصادق الأمين، وسيّد المرسلين، وحبيب إله العالمين
محمّد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
وإلى أخيه، ووصيّه، ووارث علمه، أمير المؤمنين
عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)
وإلى بضعته الطاهرة، سيّدة نساء العالمين
فاطمة الزهراء (عليها السلام)
وإلى الأئمّة المعصومين من ذرّيّتهم (عليهم السلام)..
ولا سيّما بقيّة الله في الأرضين، صاحب العصر والزمان
الإمام المهديّ المنتظر (عليه السلام)
أُهدي هذه البضاعة المزجاة، راجياً القبول والشفاعة..

أقلّ خدّامكم
علي

مقدّمة التحقيق..

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أخذ لنفسه على خلقه الميثاقَ بالربوبية والوحدانية، ولنبيّه محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنبوّة والرسالة، ولأخيه أمير المؤمنين والأحد عشر من وُلده بالإمامة والولاية، وأشهدهم على أنفسهم بذلك لكي يسدّ عليهم باب الاحتجاج يوم المعاد.

والصلاة والسلام على من تحمّل عبء الرسالة الثقيل محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعلى أخيه ووصيّه أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وعلى ابنته الزهراء البتول سيّدة نساء العالمين (عليها السلام)، وعلى الأئمّة المعصومين المنتجبين من وُلدهما (عليهم السلام)، ولا سيّما بقيّته في الأرضين الإمام الحجّة المنتظر المهديّ عجّل الله تعالى ظهوره المبارك.

أمّا بعد..

فإنّ الميثاق والولاية من الأُمور الخطيرة التي تدخل في صميم العقيدة الإسلامية الحقّة، وهي من البساطة بمكان حتّى

إنّها لا تحتاج من القارئ المنصف الذي يبحث عن الحقّ وأهله إلى كثير من العناء والمشقّة ليزيل الغشاوة عن عينيه ليرى نور الله الذي يضيء له طريق النجاة والفلاح.

فآيات القرآن الكريم صريحة جدّاً في إظهار أحقّية أهل البيت (عليهم السلام) بالولاية والإمامة والخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)..

منها ما تناولها منمّق هذه الرسالة، الإمام العلاّمة السيّد عبد الحسين شرف الدين (قدس سره)، في القسم الأوّل منها، وهي آية الميثاق، وذلك في معرض جوابه عن سؤال الشيخ عبّاس قلي الواعظ التبريزي الجراندابي، حين سأله عن معنى قوله تعالى: **{ وإذ أخذ ربُّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربّكم قالوا بلى شهدنا }**[1]، وذلك لو أردنا تفسيرها بغضّ النظر عن حملها على عالم الذرّ، الذي نقول به، والتي تثبت وقوع هذا الإشهاد وأخذ الميثاق فيه الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام).

فقد روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله تعالى: **{ وإذ أخذ ربُّك من بني آدم من ظهورهم.. }**، قال: أخرج الله من ظهر آدم ذرّيّته إلى يوم القيامة، فخرجوا كالذّرّ، فعرّفهم نفسه، ولولا ذلك لم يعرف أحدٌ ربّه، ثمّ قال: ألستُ بربّكم؟ قالوا:

1- سورة الأعراف 7: 172.

بلى ; وإنّ هذا محمّد رسولي، وعليّ أمير المؤمنين خليفتي وأميني[1].

وعن حبيب السجستاني، قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام)يقول: إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أخرج ذرّيّة آدم (عليه السلام) من ظَهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبيّة له وبالنبوّة لكلّ نبيّ، فكان أوّل من أخذ له عليهم الميثاق بنبوّته محمّد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثمّ قال الله عزّ وجلّ لآدم: انظر ماذا ترى؟ قال: فنظر آدم (عليه السلام) ذُرّيّته وهم ذَرٌّ قد ملأُوا السماء... الحديث[2].

وفي ما يخصّ آية الولاية، الواردة في القسم الثاني من الرسالة، لمّا سأل الشيخُ التبريزي الجراندابي السيّدَ شرف الدين (قدس سره) عن قوله تعالى: **{ حُرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة وما أكل السبع إلاّ ما ذكّيتم وما ذُبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الّذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشونِ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطرّ في مخمصة غير متجانف لإثم فإنّ الله غفور**

1- بصائر الدرجات: 91 و 92 ح 6 و 8.

2- الكافي 2 / 31 ح 1453، علل الشرائع 1 / 21 ح 4.

رحيم }[1] بأنّها آية واحدة مسوقة لبيان الأحكام، فأيّ ربط لها بتعيين الإمام؟!

فأجاب السيّد شرف الدين (قدس سره) بجواب مفصّل أبان فيه أحقّيّة أهل البيت (عليهم السلام) بالإمامة والخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

والأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة السند والمتواترة تملأ بطون الكتب، وروايات الفريقين في ذلك سواء، وحتّى الفرق المعادية لأهل البيت (عليهم السلام) تظهر في مرويّاتهم . وبوضوح . أحقّيّة أهل البيت (عليهم السلام) بالخلافة والإمامة، فنلاحظ من خلالها أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يدّخر جهداً في توضيح هذه المسألة وإبلاغها الناس، منذ بداية البعثة النبوية المباركة وحتّى آخر لحظة من حياته الشريفة، حين طلب منهم أن يحضروا له كتفاً ودواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً، ولكن ما كان جوابهم إلاّ أن تجرّأوا عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) واتّهموه بالهجر وهو الذي **{ ما ينطق عن الهوى * إنْ هو إلاّ وحيٌ يُوحى }**[2].

فنحن نعتقد بأنّ معرفة الحقّ قد أودعها الله تعالى في قلوب بني آدم منذ أن أشهدهم على أنفسهم حين رأوا من حقائق الأُمور ما جعلهم يقرّون مستسلمين بالبداهة التي تأكّد

1- سورة المائدة 5: 3.

2- سورة النجم 53: 3 و 4.

وجودها في الذهن من جملة: **{ قالوا بلى شهدنا }**، إلاّ أنّ عدم وجود المؤهّل الذاتي، أو وجود تراكمات الذنوب والأوهام والخطرات وتلويث النطف، وغيرها، تحول دون أن يرى الإنسان مكامن النور في قلبه، وذلك لكونها محجوبة بحجب الأدران والزيغ، فيبدأ مسيرته باتّجاه نسيان ما رآه وعرفه.. **{ فإنّها لا تَعمى الأبصار ولكن تَعمى القُلوبُ التي في الصُّدور }**[1].

ومتى ما أقبلت النفس على الأعمال التي من شأنها أن تعمل على تصفيتها وتهذيبها وتزكيتها ممّا علق بها من هذه الحجب، تفتّحت مكامن المعرفة ; وتختلف هذه باختلاف سعي النفوس وراءها، حتّى يبلغ بها المقام عند مرتبة أمير المؤمنين الإمام عليّ (عليه السلام) بقوله: " لو كُشف الغطاء ما ازددتُ يقيناً "[2].

فجاءت هذه الرسالة صغيرة الحجم، قوية السبك، عالية المضامين، جليّة الحجّة والبرهان.

1- سورة الحجّ 22: 46.

2- غرر الحكم ودرر الكلم 2 / 142 رقم 1، شرح نهج البلاغة 7 / 253 و ج 10 / 142، مناقب الإمام عليّ (عليه السلام) . للخوارزمي .: 375، الطرائف: 512، كشف الغمّة 1 / 170، نهج الإيمان: 269، شرح على المئة كلمة لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) . لميثم البحراني .: 52.

ترجمة المؤلّف[1]

يعجز الفكر ويكلّ القلم عن إيفاء حقّ عالم عامل جهبذ كبير مثل السيّد شرف الدين (قدس سره)، الذي طبّقت شهرته الآفاق، فكان علماً من أعلام عصره، فجمع بين العلم والجهاد في سبيل المذهب الحقّ، وبين مقارعة الاستعمار الفرنسي ومناهضته..

ووفاءً منّا لقليل من الدَّين الذي علينا تجاه هذا الرجل العظيم، ننقل قبساً من حياته التي قضاها في سبيل خدمة مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

اسمه ونسبه:

هو: عبد الحسين بن يوسف بن الجواد بن إسماعيل ابن محمّد بن محمّد بن إبراهيم شرف الدين بن زين العابدين ابن عليّ نور الدين بن نور الدين عليّ بن الحسين الموسوي

1- اعتمدت في هذه الترجمة على المصادر التالية:
أعيان الشيعة 7 / 457، الأعلام 3 / 279، معجم المؤلّفين 2 / 53 رقم 6588، مقدّمة كتاب " المراجعات ".

العاملي.

مولده وسيرته:

وُلد السيّد شرف الدين في مدينة الكاظمية من العراق سنة 1290 هـ، من أبوين كريمين يصل نسبهما إلى الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم).

عاد في الثانية والثلاثين من عمره إلى جبل عامل من جنوب لبنان حيث منبت أُسرته، وغدا بعد فترة قليلة زعيمها الكبير.

قاد التغيير الاجتماعي في بلده، ثمّ تصدّى لمجابهة الاستعمار والاحتلال الفرنسي في لبنان، فطاردته القوات الفرنسية وأحرقت بيته ومقرّه، بما في ذلك مكتبته الكبرى، ففُقدت بعض من مؤلّفاته، وشرّدت عائلته، فتنقّل من لبنان إلى الشام ففلسطين فمصر، وأينما حلّ كان مشعلا للإسلام ونوراً للمسلمين.

وفي سنة 1329 هـ زار مصر، واجتمع بعلمائها، ومنهم الشيخ سليم البشري، ثمّ تراسل معه . بعد ذاك . بعدّة رسائل أنتجت في ما بعد كتاب " المراجعات "، وكان قد زار المدينة المنوّرة نحو سنة 1328، وفي سنة 1340 حجّ بيت الله الحرام،

وفي سنة 1355 زار العراق فإيران.

دراسته:

درس في النجف الأشرف وفي سامرّاء على أعلامهما، أمثال الطباطبائي والخراساني وشيخ الشريعة الأصفهاني والشيخ محمّد طه نجف (رحمهم الله).

وفاته:

توفّي (رحمه الله) في إحدى مستشفيات بيروت، يوم الثلاثاء عاشر جمادى الآخرة سنة 1377 هـ، ونقل جثمانه إلى بغداد بالطائرة، بعد أن شُيّع في بيروت تشييعاً رسمياً، ودفن بالنجف الأشرف.

مؤلّفاته:

له (قدس سره) العديد من المؤلّفات المفيدة النافعة التي خدمت المذهب الحقّ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1 . المراجعات ; وقد انتشر انتشاراً واسعاً وطبع طبعات كثيرة في العديد من البلدان، وترجم إلى لغات عديدة، منها: الفارسية والأُوردية والإنكليزية.

2 . النصّ والاجتهاد.

3 . الفصول المهمّة في تأليف الأُمّة.

4 . الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء (عليها السلام).

5 . فلسفة الميثاق والولاية، وهي الرسالة التي بين يديك عزيزي القارئ.

6 . عقيلة الوحي زينب الكبرى.

7 . أبو هريرة.

8 . أجوبة مسائل جار الله.

9 . إلى المجمع العلمي العربي بدمشق.

10 . كلمة حول الرؤية.

11 . مسائل فقهية خلافية.

12 . بغية الراغبين.

13 . ثبت الأثبات في سلسلة الرواة.

14 . مؤلّفو الشيعة في صدر الإسلام.

15 . زكاة الأخلاق.

* * *

منهجيّة التحقيق

اعتمدت في عملي على نسخة الرسالة الصادرة في طهران، عن مكتبة نينوى الحديثة، المطبوعة بالتصوير عن الطبعة الثانية للرسالة، المطبوعة في مطبعة العرفان، بصيدا، عام 1371 هـ / 1952 م، وهي في 32 صفحة، بقياس 12 × 8 سم، ملحقة برسالة " كلمة حول الرؤية " للمصنّف (قدس سره).

واقتصرتُ في تحقيق هذه الرسالة على الخطوات التالية:

1 . ضبط النصّ، من حيث التقطيع والتصحيح.

2 . تخريج الآيات القرآنية.

3 . تخريج الأحاديث النبوية الشريفة، وإرجاعها إلى مصادرها الأصلية، وقد اقتصرت فيها على ذِكرِ بعضِ أهمّ المصادر المخرِّجة لها ; إذ لو أردنا التوسّع في ذِكر المصادر . ولا سيّما في أحاديث فضائل ومناقب أهل البيت (عليهم السلام) . لخرج بنا المقام عن هدف الرسالة المؤلّفة لأجله، والتفصيل مرهونٌ في مظانّه ممّا أُلّفَ في خصوص كلّ منها.

4 . تخريج الأبيات الشعرية التي وردت في الرسالة، مع ترجمة مختصرة لقائلها.

5 . توضيح المطالب المهمّة، بشرحها والتعليق عليها، أو إحالتها على مصادرها الأصلية.

6 . شرح معاني الكلمات الغامضة والغريبة.

7 . أبقيتُ على الهوامش التي أدرجها المصنّف السيّد شرف الدين (قدس سره) في رسالته، وألحقت بها جملة " منه (قدس سره) ".

8 . أدرجتُ عدّة عناوين لتوضيح رؤوس المطالب ووضعتها بين العضادتين [ ].

طبعات الرسالة:

طُبعت هذه الرسالة طبعات عديدة في لبنان وإيران في حياة المؤلّف ومن بعد وفاته.

وقد كنت قد حقّقتُ هذه الرسالة سابقاً ونُشرت في قم وبيروت على صفحات مجلّة " تراثنا "، في العدد الثاني (62)، السنة 16، ربيع الآخر 1421 هـ.

ثمّ أعدتُ العمل عليها وقمت بتنقيحها وأضفتُ لها تعليقات وملحوظات مفيدة ونافعة، كيما تكون أتمّ وأكمل، فكانت هذه الطبعة المنقحة المزيدة ; عسى الله تعالى أن ينفع بها، والله من وراء القصد.

وفي الختام:

أُسدي شكري الجزيل إلى كلّ الّذين ساهموا معي في إخراج هذا الأثر النفيس إلى الملأ العلمي، ولا سيّما الأخ المحقّق عبد الكريم الجوهر ; والأخ المحقّق جواد حسين الورد، والأخ المحقّق السيّد محمّد علي الحكيم، داعياً المولى العليّ القدير أن يوفّقنا جميعاً لِما فيه خدمة أهل البيت (عليهم السلام)وبثّ علومهم ونشرها، إنّه نعم المولى والمجيب.

وآخر دعوانا أنِ..

" اللّهمّ كن لوليّك الحجّة بن الحسن، صلواتك عليه وعلى آبائه، في هذه الساعة، وفي كلّ ساعة، وليّاً وحافظاً، وقائداً وناصراً، ودليلا وعيناً، حتّى تسكنه أرضك طوعاً، وتمتّعه فيها طويلا ".

والحمد لله أوّلا وآخراً، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين، وسلّم كثيراً.

ذكرى مولد الزهراء البتول (عليها السلام)

20 جمادى الآخرة 1426 هـ

علي جلال باقر الداقوقي

فلسفة
الميثاق والولاية

بقلم
عبد الحسين شرف الدين

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٣٧١هـ مطبعة العرفان – صيدا ١٩٥٢م

صورة عنوان الكتاب / الطبعة القديمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

إن أخي في الله عز سلطانه ، المخلص لله في دينه ويقينه ، القائم في نصرة الحق على ساقه ، المجاهد في سبيله بيده ولسانه وقلمه ، الشيخ الجليل الحاج عباس قلي الواعظ التبريزي الجراندابي أدام الله سداده وبلغه رشاده ، أتحفني في هذه الأيام بكتاب مستطاب فرض عليّ فيه فلسفة الميثاق والولاية إذ سألني عن آيات تختص بهما كما سنفصله في الجواب إن شاء الله تعالى ، وحيث لا يسعني إلا الايجاب ؛ بادرت بالجواب ، على ما بي من البلبال، في هذه الأحوال، متوكلا على الله مستمداً من فيضه تبارك وتعالى معتصما به من خطل الرأي وعثرة القلم فأقول مخاطباً لجنابه العالي – وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب –

سألتني « أيها الشيخ أعزك الله » عن قوله تعالى :

صورة الصفحة الأُولىٰ من الكتاب / الطبعة القديمة

في معناه فطاشت سهامهم

وبالجملة فإن رسول الله (ص) لم يُبق غاية إلا أوضح سبيلها ولم يدع آبدة إلا أقام دليلها ، حتى ترك أمته على الحنيفية البيضاء ، ليلها كنهارها ، ما تركهم في جهالة ، ولا اهملهم ليكونوا بعـــده في ضلالة ، ولا اوكلهم الى اهوائهم ، ولا تركهم يسرحون على غلوائهم ، بل ربطهم بثقليه ، وعصمهم بحبليه ، حيث جعل أئمة عترته الاثني عشر اعدال كتاب الله وانزلهم منزلته من ربه ، ومن الأمة بمنزلة الرأس من الجسد ، « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » والحمد لله اولا وآخراً وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما كثيرا

تمت الكلمة في مدينة صور يوم الاثنين منتصف ربيع الثاني سنة الف وثلاثمائة وستين للهجرة المباركة بقلم اصغر خدمة الدين عبد الحسين بن يوسف بن الجواد بن اسماعيل بن محمد بن محمد بن ابراهيم شرف الدين بن زين العابدين بن علي نور الدين بن نور الدين علي بن الحسين الموسوي العاملي عاملهم الله بلطفه . وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

صورة الصفحة الأخيرة من الكتاب / الطبعة القديمة

الصفحة 22

الصفحة 23

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين

إنّ أخي في الله عزّ سلطانه، المخلص لله في دينه ويقينه، القائم في نصرة الحقّ على ساقه، المجاهد في سبيله بيده ولسانه وقلمه، الشيخ الجليل الحاجّ عبّاس قلي الواعظ التبريزي الجرندابي[1]، أدام الله سداده، وبلّغه رشاده ; أتحفني

1- هو: ميرزا عبّاس قلي صادق پور وجدي، المشـتهر بـ " واعظ جرندابي "، وُلد بتبريز سـنة 1315 هـ، وتوفّي بها سـنة 1386 هـ.
تعلّم العلوم الدينية عند الشيخ علي الشربياني، المتوفّى 2 ذي القعدة 1348 هـ، صاحب كتاب " معرفة الأئمّة "، المطبوع في تبريز سنة 1324 هـ، و " خلاصة التوحيد " في الكلام، لم يُطبع، ودرس الرياضيّات والإسطرلاب على الميرزا لطف علي، إمام الجمعة، المتوفّى عن حدود 73 عاماً في سنة 1339 هـ.
وقد أسّس الواعظ الجرندابي في سنة 1336 هـ مدرسة جديدة سمّاها " الإرشاد "، في راسته كوچه بتبريز . كما في: تاريخ فرهنك آذربايجان 1 / 170 .، وذلك في عهد رئاسة أبو القاسم فيرضات والدكتور أعلم الملك، وفي عهد محمّد علي تربيت ترك المدرسة هذه واشتغل بالتدريس في المدرسة الطالبية القديمة، فدرّس الرياضيّات والمنطق، ثمّ في حدود 1341 هـ أسّس عدّة من العلماء مدرسة " سرخاب وشترخاب " وعيّنوا الجرندابي مديراً لها برعاية الميرزا صادق المجتهد التبريزي، وبعد مدّة ترك هذه المدرسة وتفرّغ للوعظ والخطابة.
وللمترجَم مكتبةٌ نفيسةٌ تحتوي على أكثر من عشرة آلاف مجلّد، أهدى نفائسها والمخطوطات منها لمكتبة مشهد الإمام الرضا (عليه السلام). آستانه قدس رضوي .، وكان له مكاتبات مع علماء عصره، كالسيّد محسن الأمين العاملي والشيخ محمّد جواد البلاغي والسيّد هبة الدين الشهرستاني والشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء والشيخ آقا بزرك الطهراني وغيرهم (رحمهم الله).
ومن مؤلّفاته: عظمت حسين بن علي (عليه السلام)، زندگاني محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)لتوماس كارلايل، ذو القرنين وسدّ يأجوج ومأجوج، هشت مقاله.
انظر: مستدركات أعيان الشيعة 3 / 115.

في هذه الأيّام بكتاب مستطاب، فرض علَيَّ فيه فلسفة الميثاق[1] والولاية ; إذ سألني عن آيات تختصّ بهما كما سنفصّله في الجواب إن شاء الله تعالى[2].

1- الميثاقُ ـ من المواثقة والمعاهدة ـ: العهد ; ومنه المَوْثِق، تقول: واثقتـه بالله لأفعلنّ كذا وكذا.
انظر: لسان العرب 15 / 212 مادّة " وثق ".
2- أقول: لقد ذكر الشيخ الحاجّ عبّاس قلي الواعظ الجرندابي في تعليقته على " أوائل المقالات " للشيخ المفيد، القول 135: " قالتا أتينا طائعين . 125 / 4 " هذه الرسالة عندما قال: " قال العلاّمة الأكبر والحجّة المشتهر السيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي . مدّ ظلّه . في رسالته النفيسة: فلسفة الميثاق والولاية: ص 5 . 10، طبع صيدا، عند كلامه على جواب إحدى المسائل التي رفعناه إلى سماحته سنة 1360 هـ ".
انظر: أوائل المقالات (ضمن سلسلة مؤلّفات الشيخ المفيد): 221.

وحيث لا يسعني إلاّ الإيجاب ; بادرت بالجواب، على ما بي من البلبال، في هذه الأحوال، متوكّلا على الله، مستمدّاً من فيضه تبارك وتعالى، معتصماً به من خطل الرأي وعثرة القلم.

فأقول مخاطباً لجنابه العالي . وما توفيقي إلاّ بالله، عليه توكّلت وإليه أُنيب .:..

[الميثـاق]

سألتني أيّها الشيخ . أعزّك الله . عن قوله تعالى: **{ وإذ أخذ ربُّكَ من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتَهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربّكم قالوا بلى شهدنا }**[1]..

فقلتَ: ما معنى هذه الآية إذا قطعنا النظر عن حملها على عالَم الذرّ؟

وما وجه الاستشهاد بها على نبوّة نبيّنا (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإمامة أئمّتنا (عليهم السلام)؟

فالجواب . إذاً . يقع في مقامين:..

1- سورة الأعراف 7: 172.

المقام الأوّل
في معنى الآيـة[1]

فأقول:

ظاهر الآية أنّها إنّما جاءت على سبيل التمثيل والتصوير، فمعناها . والله تعالى أعلم .:

{ و } اذكر يا محمّد للناس ما قد واثقوا الله عليه بلسان حالهم التكوينيّ، من الإيمان به، والشهادة له بالربوبية، وذلك **{ إذ أخذ ربّك }** أي حيث أخذ ربّك جلّ سلطانه **{ من بني آدم }** أي **{ من ظهورهم ذرّيّتهم }**، فأخرجها من أصلاب آبائهم نطفاً، فجعلها في قرار مكين من أرحام أُمّهاتهم، ثمّ جعل

1- أقول: إنّ هذه الآية المباركة من أعجب الآيات نظماً، وأوضحها وأدقّها دلالة على الميثاق الذي أخذه الله سبحانه وتعالى من بني آدم على ربوبيّته، ويستفاد من سياق الآية والآيات التي بعدها أنّ الله تعالى قطع عذر العباد بإقامته الحجّة عليهم ; إذ لولا هذا الأخذ والإشهاد على ربوبيّته تعالى، ونبوّة النبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإمامة الأئمّة الاثني عشر (عليهم السلام)، لكان للعباد أن يحتجّوا على الله يوم القيامة بحجّة يدفعون بها عن أنفسهم العذاب لعدم إيمانهم، أو شركهم به سبحانه، ولعدم إيمانهم بالنبوّة والإمامة.

النطف علقاً، ثمّ مُضَغاً، ثمّ عظاماً، ثمّ كسا العظام لحماً، ثمّ أنشأ كلاًّ منهم خلقاً سويّاً[1]، قويّاً، في أحسن تقويم[2]، سميعاً بصيراً[3]، ناطقاً، عاقلا، مفكّراً، مدبّراً، عالماً، عاملا، كاملا، ذا حواسَّ ومشاعرَ وأعضاء أدهشت الحكماء، وذا مواهب عظيمة، وبصائر نيّرة تميّز بين الصحيح والفاسد، والحسن والقبيح، وتفرّقُ بين الحقّ والباطل، فيدرك بها آلاء الله في ملكوته، وآيات صنعه جلّ وعلا في خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، وفي نُظُمه المستقيمة جارية في سمائه وأرضه على مناهجه الحكيمة.

وبذلك وجب أن يكونوا على بيّنة قاطعة بربوبيّته، مانعة عن الجحود بوحدانيّته.

فكأنّه تبارك وتعالى . إذ خلقهم على هذه الكيفية .

1- إشارة إلى قوله تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان من سُلالة من طين * ثُمّ جعلناه نطفة في قرار مكين * ثمّ خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغةً فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثمّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) سورة المؤمنون 23: 12 ـ 14.

2- إشارة إلى قوله سبحانه تعالى: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) سورة التين 95: 4.

3- إشارة إلى قوله تعالى: (إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً) سورة الإنسان 76: 2.

قرّرهم **{ وأشهدهم على أنفسهم }** فقال لهم: **{ ألستُ بربّكم }**؟![1].

وكأنّهم **{ قالوا بلى شهدنا }** على أنفسنا لك بالربوبية، وبخعنا لعزّتك وجلالك بالعبودية، نزولا على ما قد حَكَمَتْ به عقولنا، وجَزَمَتْ به بصائرنا، حيث ظهر لديها أمرك، وغلب عليها قهرك، فلا إله إلاّ أنت، خلقتنا من تراب، ثمّ أخرجتنا من الأصلاب نطفة، ثمّ علقة، ثمّ مضغة، ثمّ عظاماً، ثمّ كسوت العظام لحماً، ثمّ أنشأتنا خلقاً آخر قد انطوى فيه العالم الأكبر..

1- نقل ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة 12 / 100، عن أبي سعيد الخدري، قال: " حججنا مع عمر أوّل حجّة حجّها في خلافته، فلمّا دخل المسجد الحرام، دنا من الحجر الأسود فقبّله واستلمه، وقال: إنّي لأعلم أنّك حجَر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أنّي رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبّلك واستلمك لَما قبّلتك ولا استلمتك.

فقال له عليٌّ (عليه السلام): بلى... إنّه ليضرُّ وينفع، ولو علمتَ تأويل ذلك من كتاب الله لعلمتَ أنّ الذي أقول لك كما أقول ; قال الله تعالى: (وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربّكم قالوا بلى)، فلمّا أشهدهم وأقرّوا له أنّه الربّ عزّ وجلّ وأنّهم عبيد، كتب ميثاقهم في رقّ، ثمّ ألقمه هذا الحَجر، وله لعينين ولساناً وشفتين، تشهد لمن وافاه بالموافاة، فهو أمين الله عزّ وجلّ في هذا المكان.

فقال عمر: لا أبقاني الله في أرض لستَ بها يا أبا حسن! ".

فسبحانك سبحانك! ما أسطع برهانك! تحبّبت إلينا، فدللتنا عليك بآياتك، وأنت الغنيُّ الحميد، وتفضّلت علينا، فدعوتنا إليك ببيّناتك، ونحن الفقراء العبيد، ولولا أنت لم ندرِ ما أنت.

فلك الحمد إقراراً لك بالربوبية، والحمدُ فضلُك، ولك الشكرُ بخوعاً منّا بالعبودية، والشكرُ طَوْلُك، لا إله إلاّ أنت ربّ العرش العظيم.

هذا كلّه من مرامي الآية الكريمة، وإنّما جاءت على سبيل التمثيل والتصوير، تقريباً للأذهان إلى الإيمان، وتفنّناً في البيان والبرهان، وذلك ممّا تعلو به البلاغة فتبلغ حدّ الإعجاز.

ألا ترى كيف جعل اللهُ نفسَه في هذه الآية بمنزلة المُشهِدِ لهم على أنفسهم، وجعلهم بسبب مشاهدتهم تلك الآيات البيّنات وظهورِها في أنفسهم وفي خلق السماوات والأرض بمنزلة المعترفِ الشاهد، وإنْ لم يكن هناك شهادة ولا إشهاد؟!

وباب التمثيل واسع في كلام العرب، ولا سيّما في الكتاب والسُنّة، قال الله تعالى: **{ ما كان للمشركين أن يَعمُروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر }**[1]..

1- سورة التوبة 9: 17.

ضرورة أنّهم لم يشهدوا على أنفسهم بألسنتهم، وإنّما شهدوا بألسنة أحوالهم ; إذ نصبوا أصنامهم حول الكعبة فكانوا يطوفون بها عراة ويقولون: لا نطوف عليها في ثياب أصبنا فيها المعاصي[1] ; وكلّما طافوا بها شوطاً سجدوا لها، فظهر كفرهم بسبب ذلك ظهوراً لا يتمكّنون من دفعه، فكأنّهم شهدوا به على أنفسهم.

وبهذا صحّ المجاز على سبيل التمثيل في هذه الآية.

ونحوها قوله تعالى: **{ ثمّ استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين }**[2]..

إذ لا قول هنا من الله عزّ وجلّ، ولا منهما قطعاً[3]..

1- انظر: تفسـير الفخر الرازي 16 / 9.
2- سورة فصّلت 41: 11.
3- ومن المناسب أن نورد هنا ما أفاد به الشريف المرتضى (قدس سره) في " أماليه " ممّا يؤيّد هذا الوجه في معنى آية الميثاق، إذ قال ما نصّـه:
إنّه تعالى لمّا خلقهم وركّبهم تركيباً يدلّ على معرفته، ويشهد بقدرته، ووجوب عبادته، وأراهم العبر والآيات والدلائل في أنفسهم، وفي غيرهم، كان بمنزلة المُشهِد لهم على أنفسهم، وكانوا . في مشاهدة ذلك، ومعرفته، وظهوره فيهم على الوجه الذي أراده الله تعالى، وتعذُّر امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالته . بمنزلة المُقِرّ المعترِف وإنْ لم يكن هناك إشهاد ولا اعتراف على الحقيقة..
ويجري ذلك مجرى قوله تعالى: (ثمّ استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) وإنْ لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب..
ومثله قوله تعالى: (شاهدين على أنفسهم بالكفر)، ونحن نعلم أنّ الكفّار لم يعترفوا بالكفر بألسنتهم، وإنّما ذلك لمّا ظهر منهم ظهوراً لا يتمكّنون من دفعه، كانوا بمنزلة المعترفين به...
انظر: الأمالي . للشريف المرتضى . 1 / 23 . 24.

وإنّما المراد أنّه سبحانه شاء تكوينهما فلم يمتنعا عليه، وكانتا في ذلك كالعبد السامع المطيع يتلقّى الأمر من مولاه المطاع.
وعلى هذا جاء قوله تعالى: **{ إنّما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون }**[1]..
ضرورة أنّ القول في هذه الآية ليس على حقيقته..
والحقيقة ما اقتبسه الإمام زين العابدين (عليه السلام) من مشكاة هاتين الآيتين ; إذ قال في بعض مناجاة ربّه عزّ وجلّ: " وجرى بقدرتك القضاء، ومضت على إرادتك الأشياء، فهي بمشيئتك دون قولك مؤتمرة، وبإرادتك دون نهيك

1- سورة النحل 16: 40.

منزجرة "[1].
وممّا جاء في القرآن الحكيم من المجاز على سبيل التمثيل، قوله عزّ من قائل: **{ إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان.. }**[2] الآية.
لأنّ عرضها على السماوات والأرض والجبال لم يكن على ظاهره، وكذلك إباؤها وإشفاقها، وما هو إلاّ مجاز على سبيل التمثيل والتصوير تقريباً للأذهان، وتعظيماً لأمر الأمانة، وإكباراً لشأنها.
والأمانة هنا هي طاعة الله ورسوله في أوامرهما ونواهيهما، كما يدلّ عليه سياق الآية وصحاح السُنّة في تفسيرها[3].
ولو أردنا استقصاء ما جاء في الذِّكر الحكيم والفرقان العظيم من هذه الأمثلة، لطال بنا البحث، وخرجنا به عن

1- الصحيفة السـجّادية: 59 دعاؤه إذا عرضت له مهمّـة أو نزلت به ملمّـة وعند الكرب.
2- سورة الأحزاب 33: 72.

3- انظر مثلا: تفسير الطبري 10 / 339 ح 28686، الوسيط في تفسير القرآن المجيد 3 / 484، تفسير البغوي 3 / 470، مجمع البيان 8 / 162.

القصد[1].

وحسبك توبيخه عزّ وجلّ لأهل الغفلة عن قوارع القرآن الحكيم، المستخفّين بأوامره وزواجره ; إذ يقول وهو أصدق القائلين: **{ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلّهم يتفكّرون }**[2].

أمّا ما جاء في السُنّة من هذا القبيل فكثير إلى الغاية، وكثير لا يحصى، وحسبك منه الصحاح الصريحة ببكاء الأرض والسماء على سيّد الشهداء وخامس أصحاب الكساء..

إذ بكته الشمس بحمرتها، والآفاق بغبرتها، وأظلّة العرش بإعوالها، وطبقات الأرض بزلزالها، والطير في أجوائها، وحجارة بيت المقدس بدمائها، وقارورة أُمّ سلمة بحصيّاتها، وتلك الساعة بآياتها ; كما صرّحت به أحاديث السُنّة وصحاح الشيعة[3].

1- راجع في خصوص ذلك مفصّلا: تلخيص البيان في مجازات القرآن ـ للشريف الرضي ـ، ومجاز القرآن ـ لمحمّد حسين علي الصغير ـ.

2- سورة الحشر 59: 21.

3- انظر مثلا: مسند أحمد 3 / 242 و 265، أنساب الأشراف 3 / 424 . 425، تاريخ اليعقوبي 2 / 159، المعجم الكبير 3 / 114 ح 2840، تفسير الطبري 11 / 237 ح 31120، العقد الفريد 3 / 371، المستدرك على الصحيحين 4 / 439 . 440 ح 8201 و 8202، تفسير الثعلبي 8 / 353، مقتل الحسين (عليه السلام) . للخوارزمي .: 2 / 99 . 114، تاريخ دمشق 64 / 217، تفسير القرطبي 16 / 94، ذخائر العقبى: 250 . 255، تفسير ابن كثير 4 / 145، تهذيب التهذيب 2 / 347، الدرّ المنثور 7 / 413، الصواعق المحرقة: 292 . 296 ح 30، ينابيع المودّة 3 / 101 . 102 ح 1 . 6، كامل الزيارات: 79 . 98 ب 26 . 29، الأمالي . للصدوق .: 694 . 696، الإرشاد 2 / 130، إعلام الورى: 217.

وأنت تعلم أنّ بكاء تلك الأجرام لم يكن على ظاهره، وإنّما كانت مجازاً على سبيل التمثيل، إكباراً لتلك الفجائع، وإنكاراً على مرتكبيها، وتمثيلا لها، مسجَّلةً في آفاق الخلود، إلى اليوم الموعود[1].

1- أقول: إنّ كلّ ما في الكون قد عبّر عن حزنه وألمه لِما جرى على سيّد الشهداء الإمام الحسين بن عليّ (عليه السلام) من أليم الفاجعة وعظيم المصاب في كربلاء كلٌّ بحسبه..

فقد جاء في قوله تعالى: (تسبّح له السموات السبع والأرض ومَن فيهنّ وإنْ مِن شيء إلاّ يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) سورة الإسراء 17: 44..

وقوله تعالى: (ويسبّح الرعد بحمده) سورة الرعد 13: 13..

وقوله تعالى: (وسخّرنا مع داود الجبال يسبّحن) سورة الأنبياء 21: 79..

وقوله تعالى: (إنّا سخّرنا الجبال معه يسبّحن بالعشيّ والإشراق) سورة ص 38: 18..

فتلك الأشياء سبّحت الله تعالى بلسان تكوينها وانقيادها في أفلاكها بنظام يأخذ بالألباب، ولم تسبّحه بلسان وشفتين.

وكذا الحال في بكاء هذه الكائنات على الإمام الحسين (عليه السلام)، والتعبير عن الحزن لمصابه (عليه السلام)، فلم يكن كما عهده بنو البشر بدموع ونحيب ونشيج.

فعن داود بن فرقد، عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام)، قال: " احمرّت السماء حين قُتل الحسين (عليه السلام) سنة، ويحيى بن زكريّا، وحمرتُها بكاؤها ".

انظر: كامل الزيارات: 90 ح 7.

وقد روى زرارة، عن الإمام الصادق (عليه السلام)، أنّه قال: " بكت السماء على يحيى بن زكريّا وعلى الحسين بن عليّ (عليهم السلام) أربعين صباحاً، ولم تبكِ إلاّ عليهما ; قلت: وما بكاؤهما؟ قال: كانت الشمس تطلع حمراء وتغيب حمراء ".

انظر: مناقب آل أبي طالب 4 / 61.

وقال سبط ابن الجوزي في كتابه " تذكرة الخواصّ "، ص 246، ما نصّه:

" قال جدّي أبو الفرج في كتاب (التبصرة): لمّا كان الغضبان يحمرّ وجهه عند الغضب، فيُستدلّ بذلك على غضبه، وأنّه أمارة السخط، والحقُّ سبحانه ليس بجسم، فأظهر تأثير غضبه على مَن قتل الحسين بحمرة الأُفق، وذلك دليل على عظم الجناية ".

وقد أشار السيّد الحميري إلى هذا المعنى بقوله:

بكت الأرضُ فقدَه وبكته ... باحمرار له نواحي السماءِ
بكتا فقدَه أربعين صباحاً ... كلّ يوم عند الضحى والمساءِ

انظر: ديوان السيّد الحميري: 61.

وكذا قال أبو العلاء المعرّي:

وعلى الأُفق من دماء الشهيدينِ ... عليّ ونجلِهِ شاهدانِ
وهما في أواخر الليل فجرانِ ... وفي أوليائه شفقانِ

انظر: مناقب آل أبي طالب 4 / 62.

فقول المصنّف (قدس سره): " مجازاً على سبيل التمثيل... " هنا هو حمل جميع ما وردت به الروايات . من بكاء السماء والأرض وبقيّة الكائنات على الإمام الحسين (عليه السلام) . على المجاز الصرف دون البكاء الحقيقي، المتمثّل بذرف الدموع وجريانها من العين.

فما ظهر من الآيات بعد فاجعة قتل الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)كثيرةٌ جدّاً، وكلّها حقيقية، قد عبّرت عن عظيم تأثّرها كلٌّ بحسب تكوينها الجنسي أو النوعي، ولمّا كان البكاء عند الإنسان أقصى ما يعبّر به عن عظم تأثّره عندما تحلّ به المصيبة أو الفاجعة، نسب البكاء إلى هذه الآيات لعظم تأثّرها، وإلاّ فهي ليست من الأنواع أو الأجناس ذات العيون والدموع والنحيب.

وما على المنصف إلاّ تتبّع تفاصيل ما نُقل في المصادر المذكورة في الهامش السابق لكي يجد ذلك بيّناً جليّاً ; فتنبّه!

وممّا جاء في السُنّة على هذا النمط من المجاز على سبيل التمثيل، حديث كربلاء والكعبة[1]، الذي أشار إليه سيّد الأُمّة،

1- لقد وردت روايات كثيرة معتبَرة في تفضيل أرض كربلاء على أرض الكعبة، منها ما رواه شيخ الطائفة الأقدم أبو القاسم جعفر بن محمّد ابن قولويه ـ المتوفّى سنة 367 هـ ـ في كتابه " كامل الزيارات "، ص 266 ـ 271..

ا فقد روى بسنده عن عبد الله بن أبي يعفور، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول لرجل من مواليه: يا فلان! أتزور قبر أبي عبد الله الحسين بن عليّ (عليهما السلام)؟

قال: نعم، إنّي أزوره بين ثلاث سنين أو سنتين مرّة.

فقال له وهو مصفرّ الوجه: أما والله الذي لا إله إلاّ هو، لو زرته لكان أفضل لك ممّا أنت فيه!

فقال له: جُعلت فداك! أكُلّ هذا الفضل؟!

فقال: نعم، واللهِ لو أنّي حدّثتكم بفضل زيارته وبفضل قبره لتركتم الحجّ رأساً، وما حجّ منكم أحد!

ويحك! أما تعلم أنّ الله اتّخذ كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يتّخذ مكّة حرماً؟!

قال ابن أبي يعفور: فقلت له: قد فرض الله على الناس حجّ البيت ولم يذكر زيارة قبر الحسين (عليه السلام)؟!

فقال: وإنْ كان كذلك، فإنّ هذا شيء جعله الله هكذا، أما سمعت قول أبي أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث يقول: " إنّ باطن القدم أحقّ بالمسح من ظاهر القدم، ولكنّ الله فرض هذا على العباد؟!

أَوَما علمتَ أنّ الموقف لو كان في الحرم كان أفضل لأجل الحرم؟! ولكنّ الله صنع ذلك في غير الحرم "!

ا وروى عن بيّاع السابري، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: إنّ أرض الكعبة قالت: مَن مثلي وقد بنى الله بيته على ظهري، ويأتيني الناس من كلّ فجّ عميق، وجُعلتُ حرم الله وأمنه؟!

فأوحى الله إليها أن كُفّي وقرّي! فوعزّتي وجلالي ما فضلُ ما فُضِّلتِ به في ما أعطيتُ به أرض كربلاء إلاّ بمنزلة الإبرة غُمست في البحر فحملت من ماء البحر!

ولولا تربة كربلاء ما فضّلتُكِ! ولولا ما تضمّنته أرض كربلاء لَما خلقتُكِ ولا خلقتُ البيت الذي افتخرتِ به!!

فقرّي واستقرّي، وكوني ذَنِيّاً متواضعاً، ذليلا مهيناً، غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء، وإلاّ سُخْتُ بكِ وهويتُ بكِ في نار جهنّم!

أقول: لا استبعاد ولا إشكال في هذا الأمر، فقد شُرّفت أرض كربلاء بضمّها جسد سيّد الشهداء الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، ولمّا كان المؤمن أعظم حرمة من الكعبة . كما جاء عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)والإمام الرضا (عليه السلام) في ما رواه الطبراني في المعجم الكبير 11 / 31 ح 10966، والبيهقي في شعب الإيمان 3 / 444 ح 4014، والمحدّث النوري في مستدرك الوسائل 9 / 343 ح 11039 .، فكيف بخامس أهل الكساء وسبط رسول الله وريحانته وسيّد شباب أهل الجنّة؟!

فإنّ مراد الإمام الصادق (عليه السلام) من ذلك هو إبراز فضيلة أرض كربلاء لا إلغاء فريضة الحجّ ; وهذا ما يؤكّده الحديث المروي في كامل الزيارات: 159، بالإسناد عن يونس، عن الإمام أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام)، أنّه قال: " من زار قبر الحسين فقد حجَّ واعتمر.

قلت: تُطرح عنه حجّة الإسلام؟

قال: لا، هي حَجّة الضعيف حتّى يقوى ويحجّ إلى بيت الله الحرام... ".

وبحر علوم الأئمّة[1]، في دُرّته النجفية[2] ; إذ يقول أعلى الله

1- بحر العلوم هو: السيّد مهدي بن مرتضى بن محمّد بحر العلوم البروجردي الطباطبائي، وُلد في كربلاء ليلة الجمعة في شوال سنة 1155، وتوفّي بالنجف الأشرف سنة 1212، ودفن قريباً من قبر الشيخ الطوسي (قدس سره)، كان (قدس سره) سيّد علماء عصره وزمانه، وعلاّمة دهره وأوانه، فقد أذعن له جميع علماء عصره ومن تأخّر عنه بعلوّ المقام وسموّ المكانة.
انظر: مستدرك الوسائل 20 / 44 (الخاتمة ج 2)، الكنى والألقاب 2 / 67، أعيان الشيعة 10 / 158، أدب الطفّ 6 / 51.

2- الدرّة النجفية: أُرجوزة مشهورة، من سيّدة الأراجيز في الفقه، لم يُسبق إلى مثلها، عُني بها كثير من الفقهاء من بعد ناظمها، وطبعت غير مرّة، وعليها شروح كثيرة وتتميمات وملحقات، أحصى الشيخ آقا بزرك الطهراني (رحمه الله) ثلاثين شرحاً من شروحها في موسوعته " الذريعة ".
أوّلها:

أفتحُ المقالَ بعدَ البسملهْ بحمدِ خيرِ منعم والشكرِ لهْ

وقال في تسميتها وتاريخ نظمها:

غَـرّاء قد وسمتُها بالـدُّرّهْ تأريخها عام الشروع (غـرّهْ)

المنطبق على (1205).
انظر: الذريعة 8 / 109 . 111، أعيان الشيعة 10 / 160.

مقامه:

وفي حديثِ كربلا والكعبة لكربلا بانَ علوّ الرتبة[1]

وكذا حديث أنس، عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم): " ما من مؤمن إلاّ وله باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه "[2] ; انتهى.

1- الدرّة النجفية: 100.
2- سنن الترمذي 5 / 354 ح 3255، الجامع الصغير 2 / 494 ح 8091، زاد المسير 7 / 154، الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور 7 / 411 في تفسير قوله تعالى: (فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظَرين) سورة الدخان 44: 29، كنز العمّال 2 / 41 ح 3041 و ج 15 / 681 ح 42718.
وانظر: الأمالي . للسيّد المرتضى . 1 / 39 . 40، كنز الفوائد 2 / 200، مجمع البيان 9 / 96.

وقد ذُكرت في المصادر الثلاثة هذه عدّة وجوه في تفسير الآية المذكورة آنفاً نافعة في هذا المقام جديرة بالمراجعة والتأمّل!

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث آخر: " إذا مات المؤمن ناحت عليه البقاع التي كان يشغلها بعبادة الله تعالى "[1]..

.. إلى كثير من أمثال هذه السنن، جاءت على نمط كلام العرب في التمثيل والتصوير، وكم لها في كلامهم من نظير!

قال أُميّة بن أبي الصلت[2]:

1- انظر: الدرّ المنثور 7 / 412.

2- هو: أُميّة بن أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، شاعر جاهلي من أهل الطائف، كان قد قرأ الكتب المتقدّمة، وكان ممّن ذكر إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) والحنيفية، فرغب عن عبادة الأوثان، وحرّم الخمر.

ذكر في شعره كثيراً من معاني التوحيد والإيمان، كقوله:

كلُّ دِين يومَ القيامةِ عندَ اللّـ ـهِ إلاّ دِينَ الحَنيفةِ زُورُ

وكان يخبر بأنّ نبيّاً يُبعث قد أظلّ زمانُه، وكان يرجو أن يكون هو ذلك النبيّ، فلمّا بلغه خروج النبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يؤمن به حسداً له وعصبية!

قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مكّة وسمع منه آيات من القرآن، وانصرف عنه، فتبعته قريش تسأله عن رأيه فيه؟ فقال: أشهد أنّه على الحقّ! قالوا: فهل تتّبعه؟ فقال: حتّى أنظر في أمره!

فخرج إلى الشام وورد دمشق، ثمّ حدثت وقعة بدر، وعاد أُميّة من الشام يريد النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال له قائل: يا أبا الصلت! ما تريد؟ قال: أُريد محمّداً ; قال: وما تصنع؟ قال: أؤمن به وأُلقي إليه مقاليد هذا الأمر ; قال: تدري من في القليب؟ قال: لا ; قال: فيه عُتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وهما ابنا خالك.

فامتنع عن الإسلام ورثى قتلى قريش من المشركين، ورجع إلى مكّة، ثمّ رحل إلى الطائف وأقام بها إلى أن مات سنة 5 هـ، وقيل: سنة 9 هـ.

انظر: طبقات فحول الشعراء 1 / 262 . 267 رقم 360 . 366، الأغاني 4 / 127 . 140، الشعر والشعراء 1 / 459 رقم 83، تاريخ دمشق 9 / 255 . 288 رقم 811، خزانة الأدب 1 / 244 . 249.

سبحانه ثمّ سبحاناً يَعود له وقَبْلَنا سَبّحَ الجُوديُّ والجُمُدُ[1]

1- انظر: ديوان أُميّة بن أبي الصلت: 376، لسان العرب 2 / 349 مادّة " جمد ".

وفي معجم البلدان 2 / 187 . 188 رقم 3224 ذكر ياقوت الحموي هذا البيت ضمن أبيات نسبها إلى زيد بن عمرو العَدَوي، وقال: " وقيل: ورقة بن نَوْفل "، ولِما في الأبيات من مضامين عالية نوردها كاملة:

نُسبّح الله تسبيحاً نَجُود به، ... وقبلَنا سَبَّحَ الجُوديُّ والجُمُدُ
لقد نَصحْتَ لأقوام وقلتَ لهم: ... أنا النذير فلا يَغْرُرْكُمُ أحدُ
لا تَعبُدُنَّ إلهاً غيرَ خالِقكم، ... فإن دَعَوْكُم فقولوا: بيننا حَدَدُ
سبحان ذي العرش سبحاناً يدوم له، ... وقبلنا سبَّح الجوديُّ والجمدُ
مُسخَّرٌ كلُّ ما تحت السماءِ له ... لا ينبغي أن يُناوي مُلْكَهُ أَحَدُ
لا شيءَ ممّا ترى تَبْقى بَشاشتُهُ ... يبقى الإلهُ ويُودي المالُ والوَلَدُ
لم تُغنِ عن هُرْمُزَ يوماً خزائنُه ... والخُلْدُ قد حاوَلَتْ عادٌ فما خَلَدوا
ولا سليمانَ إذ تجري الرياحُ به ... والإنس والجِنُّ فيما بيننا تردُ
أين الملوك التي كانت لعزّتها ... من كلّ أوْب إليها وافدٌ يَفِدُ؟!
حوضٌ هنالك مورودٌ بلا كَذِب ... لا بُدَّ من وِرده يوماً كما وَرَدُوا

فإنّ الجُودِيَّ والجُمُدَ جبلان[1]، والمراد أنّهما يسبّحان الله بلسان تكوينهما، راسخين شامخين، يدلاّن على الصانع الحكيم وعلى قدرته وعظمته.

1- الجوديُّ . ياؤُه مشدّدة .: هو جبل مطلٌّ على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل، عليه استوت سفينة نوح (عليه السلام) لمّا نضب الماء، وقال الزجّاج: هو جبل بآمد، وقيل: جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح، وفي التنزيل العزيز: (وغِيض الماء وقُضي الأمر واستوت على الجوديّ) سورة هود 11: 44.

والجُمُدُ . بضمّتين .: هو جبل لبني نصر بنجد ; وقيل: جبل على ليلة من المدينة مرّ عليه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: " هذا جُمدان سَبق المُفَرِّدون ".

انظر: معجم البلدان 2 / 187 رقم 3224 و ص 208 رقم 3315، لسان العرب 2 / 349 مادّة " جمد " و ص 413 مادّة " جود "، تاج العروس 4 / 400 . 401 مادّة " جمد " و ص 405 مادّة " جود ".

فكأنّهما ينزّهان الله عزّ وجلّ عمّا لا يجوز عليه، على حدّ قوله تعالى: **{ تسبّح له السموات السبع والأرض ومَن فيهنّ }**[1].

وهذا النوع من التسبيح في القرآن العظيم كثير كما لا يخفى[2].

وقال قيس بن الملوّح[3]:

وأجهشتُ للتَّوْباذِ[4] حين رأيتُه وكبّر للرحمن حين رآني

1- سورة الإسراء 17: 44.

2- انظر ما تقدّم في الهامش رقم 1 في الصفحة 35.

3- هو: قيس بن الملوّح بن مزاحم العامري، توفّي سنة 68 هـ، شاعر غزل، من المتيّمين، من أهل نجد، لم يكن مجنوناً وإنّما لقّب بذلك لهيامه في حبّ ليلى بنت سعد.

قيل في قصّته: نشأ معها إلى أن كبرت وحجبها أبوها، فهام على وجهه ينشد الأشعار ويأنس بالوحوش، فيُرى حيناً في الشام وحيناً في نجد وحيناً في الحجاز، إلى أن وُجد ملقىً بين أحجار وهو ميّت فحُمل إلى أهله.

انظر ترجمته مفصّلا في: الأغاني 2 / 3 . 88.

4- التَوْباذ: جبل بنجد.

انظر: معجم البلدان 2 / 64 رقم 2669.

وأذريتُ دمعَ العين لمّا أتيتُه ونادى بأعلى صوته فدعاني

فقلتُ له: أين الّذين رأيتُهم بجنبِك في خفض وطِيبِ زمانِ؟!

فقال: مضوا واستودعوني بلادهم ومَن ذا الذي يبقى على الحدثانِ؟![1]

ضرورة أنّه لا سؤال هنا، ولا جواب، ولا تكبير، ولا نداء، ولا دعاء، وإنّما هي مجازات على سبيل التمثيل والتصوير.

ومثله قول بعضهم[2]:

1- ديوان مجنون ليلى: 192، وروايته في الديوان:

وأجهشتُ للتَـوْباد حين رأيتُه وهلَّلَ للرحمن حين رآني

وأذريتُ دمعَ العين لمّا رأيتُه ونادى بأعلى صوته ودعاني

فقلتُ له: أين الّذين عهدتُهُمْ حواليك في خِصب وطِيبِ زمانِ؟

فقال: مضوا واستودعوني بلادهم ومن ذا الذي يبقى مع الحدثانِ؟!

2- المسائل العكبرية: 114، لسان العرب 11 / 350 مادّة " قول "، تاج العروس 15 / 638 مادّة " قول " ; ولم ينسبوا البيت لأحد.

وقالت له العينان: سمعاً وطاعةً وحدّرتا كالدرّ لمّا يثقّبِ

وقال مزاحم العُقيلي[1]:

بكت دارُهم من أجلهم فتهلّلت دموعي فأيّ الجازعين ألومُ؟![2]

1- هو مزاحم بن الحارث، أو: مزاحم بن عمرو بن مرّة بن الحارث، من بني عُقَيْل بن كعب بن عامر بن صعصعة.
شاعر غزل بدوي من الشجعان، كان معاصراً لجرير والفرزدق، وسُئل كلٌّ منهما: أتعرف أحداً أشعر منك؟ فقال الفرزدق: لا، إلاّ أنّ غلاماً من بني عقيل يركب أعجاز الإبل وينعت الفلوات فيجيد.
وأجاب جرير بما يشبه ذلك.
وقيل لذي الرمّة: أنت أشعر الناس! فقال: لا، ولكنْ غلامٌ من بني عقيل يقال له: مزاحم، يسكن الروضات، يقول وحشياً من الشعر لا يقدر أحد أن يقول مثله.
حُبس طويلا لشجار وقع بينه وبين رجل من جعدة، فتشاتما وتضاربا بعصيّهما، فشجّه مزاحم شجّة أصابت أُمّ دماغه، ثمّ هرب من سجنه فمكث في قومه مدّة.
انظر: الأغاني 19 / 104 . 112، خزانة الأدب 6 / 256 . 257، الأعلام 7 / 211.
2- نَسب أبو الفرج الأصفهاني . في الأغاني 19 / 105 . البيتَ إلى مزاحم العُقَيْلي، فقال:
أخبرني محمّد بن مزيد بن أبي الأزهر، قال: أنشدني حمّاد، عن أبيه لمزاحم العُقَيْلي، قال . وكان يستجيدُها ويستحسنُها .:

لصفراء في قَلبِي من الحُبِّ شُعبة حِمىً لم تُبِحْه الغانياتُ صَمِيمُ

ثمّ قال:

بكت دارُهم من نأيهم فتهلّلت دموعي فأيّ الجازعين ألومُ؟!

إلى أن قال:

كحَرّان صاد ذِئْبَ عن بَرْدِ مَشْرب وعن بَلَلاتِ الرّيقِ فَهُو يَحُومُ

- كما نُسب البيت . مرّةً . إلى مجنون ليلى (قيس بن الملوّح)، . كما في ديوانه: 167 . 168 .، ضمن قصيدة من 12 بيتاً، مطلعها:

لصفراء في قَلبِي من الحُبِّ شُعبة هوىً لم تَرُمْه الغانياتُ صَمِيمُ

ثمّ قال:

بكت دارُهم من فقدهم وتهلّلت دموعي فأيّ الجازعين ألومُ؟!

إلى أن قال:

دَعُوني فَما عَنْ رأيكُمْ كان حُبُّها ولكِنَّهُ حَظٌّ لها وَقَسيمُ

- ونُسب . أُخرى . إلى قيس لُبنى (قيس بن ذريح)، . كما في ديوانه: 111 . 112 .، ضمن قصيدة من 9 أبيات، مطلعها:

إلى الله أشكو فقد لبنى كما شكا إلى الله فقدَ الوالِدَينِ يَتيمُ

ثمّ قال:

بكت دارُهم من نأيهم فتهلّلت دموعي فأيّ الجازعين ألومُ؟!

إلى أن قال:

أَفِي الحَقِّ هذا أنّ قَلْبَكِ فارغٌ صَحيحٌ وَقَلْبي في هَواكِ سَقيمُ

وكانوا إذا أَخبَروا عن عظم المصاب بموت الواحد من عظمائهم يقولون: بكته السماء والأرض، وأظلمت لفقده الشمس والقمر.. قال جرير[1] يرثي عمر بن عبد العزيز:

الشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفة تبكي عليك نجومَ الليلِ والقمرا[2]

1- هو: جرير بن عطية بن حذيفة بن بدر الخطفي الكلبي اليربوعي، من تميم (28 ـ 110 هـ)، أشعر أهل عصره، وُلد ومات في اليمامة، وعاش عمره كلّه يناضل شعراء زمنه ويساجلهم، وكان هجّاءً مرّاً، فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل، وهو من أغزل الناس شعراً.

انظر: وفيات الأعيان 1 / 321 رقم 130، الأعلام 2 / 119.

2- ديوان جرير: 235، وروايته في الديوان:

فالشمس كاسفة ليست بطالعة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

أي إنّها مع طلوعها باكية ليست بكاسفة نجوم الليل والقمر ; لأنّ عظم مصيبتها بك قد سلبها نورها.

وبالجملة: فإنّ باب المجاز على سبيل التمثيل من أوسع أبواب البلاغة في لسان العرب، كانوا يرصّعون به خطبهم وأشعارهم وحِكمهم وأمثالهم..

فمن أمثالهم السائرة:

قال الجدار للوتد: لِمَ تشقّني؟! قال الوتد: سَلِ الذي يدقّني![1]

.. إلى كثير من أمثال هذا.

والقرآن إنّما نزل على لغتهم وفي أساليبهم، وما تحدّى العرب إلاّ على طرائقهم وفي مجازاتهم وحقائقهم، فبخعوا لآياته، وعجزوا عن أن يأتوا بسورة من مثله[2].

فآية الميثاق والإشهاد على أنفسهم إنّما جاءت من هذا الباب، كما جاء غيرها من آيات الفرقان وصحاح السُنّة وسائر

1- انظر: تفسير الفخر الرازي 15 / 53.

2- إشارة إلى قوله عزّ وجلّ: (وإنْ كنتم في ريب ممّا نزّلنا على عبدنا فأْتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين)سورة البقرة 2: 23.

كلام العرب.

والحمد لله الذي دلع لسان الصباح بنطق تبلّجه، وسرّح قطع الليل المظلم بغياهب تلجلجه، ودلّ على ذاته بذاته، وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته[1].

* * *

1- هذا المقطع مقتبس من دعاء الصباح للإمام أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) ; انظر: بحار الأنوار 94 / 243 رقم 10.

المقام الثاني

في الاستشهاد بالآية الكريمة على

نبوّة نبيّنا (صلى الله عليه وآله وسلم) وإمامة أئمّتنا (عليهم السلام)

وهذا شيء لم يكن مدلولا عليه بظاهر الآية لولا ما رويناه في تفسيرها عن الإمام الصادق (عليه السلام) إذ قال: " كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبية، ولرسوله بالنبوّة، ولأمير المؤمنين والأئمّة بالإمامة، فقال: { ألست بربّكم } ومحمّد نبيّكم وعليٌّ إمامكم والأئمّة الهادون أئمّتكم { قالوا بلى } ".. الحديث[1].

وقول الصادق (عليه السلام) حقٌّ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ; لوجوب عصمته عقلا ونقلا، وهو إمام العترة الطاهرة في عصره، لا يضلّ من تمسّك به، ولا يهتدي إلى الله من ضلّ عنه، أنزله النصُّ منزلةَ الكتاب، وجعله قدوته لأُولي الألباب، وهذا أمر مفروغ عنه عندنا، والحمّد لله ربّ العالمين[2].

1- تفسير القمّي 1 / 248، ونحوه في: تهذيب الأحكام 3 / 146 ح 317 باب صلاة الغدير.

2- نعم، إنّ مسألة عصمة الأئمّة (عليهم السلام) عندنا مفروغ منها، وذلك بدلالة آيات الكتاب العزيز والأحاديث النبوية الشريفة المتواترة، والتي تُظهِر هذا الأمر جليّاً واضحاً ; لذا فما على المنصف إلاّ أن يراجع هذه الآيات والأحاديث لكي يزيل عن عينيه الغشاوة التي حجبت عنه رؤية الحقّ وأهله.

فمن الآيات القرآنية التي تدلّ على إمامتهم وعصمتهم (عليهم السلام):

1 . آية التطهير: (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً) سورة الأحزاب 33: 33.

والمراد بأهل البيت في هذه الآية: عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وفق ما جاء به الحديث الشريف.

انظر: صحيح مسلم 7 / 130، سنن الترمذي 5 / 328 ح 3205 و 3206، المستدرك على الصحيحين 2 / 451 ح 3558 و 3559، المعجم الكبير 3 / 53 ح 2664، الدرّ المنثور 6 / 603 . 605، سير أعلام النبلاء 10 / 346.

2 . آية المودّة: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى ومن يقترف حسنةً نزد له فيها حسناً إنّ الله غفور رحيم) سورة الشورى 42: 23.

فقد عيّن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) المقصودين بـ " القربى " في هذه الآية، وهم: عليٌّ وفاطمة الزهراء وولداهما الحسن والحسين (عليهم السلام)، ولو لم يكونوا طاهرين مطهّرين معصومين لَما أمر الله تعالى بمودّتهم، ولَكان أمره عبثاً، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.

انظر: مسند أحمد 1 / 229، المعجم الكبير 3 / 47 ح 2641 و ج 11 / 351 ح 12259، المستدرك على الصحيحين 3 / 188 ح 4802، تفسير الطبري 25 / 16 . 17.

3 . آية المباهلة: (فمن حاجّك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفُسَنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) سورة آل عمران 3: 61.

وهذه الآية من الآيات الدالّة على إمامة أئمّتنا الأطهار (عليهم السلام)، وعلى أنّهم بمرتبة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل ساوتهم به، إذ جمعت أنفسهم مع نفسه، فقال تعالى: (وأنفسنا وأنفسكم)، وقصّة هذه الآية معروفة حين خرج النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مباهلة نصارى نجران بعليّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، وقد تواترت الأخبار في نقلها.

انظر: مسند أحمد 1 / 185، صحيح مسلم 7 / 120، سنن الترمذي 5 / 596 ح 3724، المستدرك على الصحيحين 3 / 163 ح 4719، فتح الباري في شرح صحيح البخاري 7 / 60.

أمّا بالنسبة للأحاديث النبوية الشريفة فهي كثيرة جدّاً، ولكنّنا . روماً للاختصار . سنورد أشهر حديثين، وهما:

1 . حديث السفينة: " مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك ".

وهو حديث زاد عن حدّ الاستفاضة، وفيه دلاله واضحة على إمامة أئمّتنا وعصمتهم بالمعنى الذي يقوله علماؤنا، أي أنّ الذي يريد أن ينجو من الهلاك عليه التمسّك بهؤلاء ; لأنّهم سفن النجاة.

انظر: فضائل الصحابة . لأحمد . 2 / 987 ح 1402، مسند البزّار 9 / 343 ح 3900، المعجم الكبير 3 / 37 ح 2636، المعجم الصغير 1 / 139، المستدرك على الصحيحين 2 / 373 ح 3312، البدء والتاريخ 1 / 220، حلية الأولياء 4 / 306، تاريخ بغداد 12 / 91 رقم 6507، مجمع الزوائد 9 / 168، الصواعق المحرقة: 352.

2 . حديث الثِّقْلَيْن: " إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر ; كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتّى يَرِدا علَيَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما! ".

وهو من الأحاديث المتواترة، وقد رواه أكثر من ثلاثين صحابيّاً، ويُعدُّ من الأحاديث الدالّة دلالة قاطعة لا تقبل الشكّ والترديد على عصمة أئمّتنا الأطهار (عليهم السلام) ; إذ قرن النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) القرآن بالعترة، وأخبر أنّهما لن يفترقا حتّى يرِدا عليه الحوض.

انظر: صحيح مسلم 7 / 122، مسند أحمد 5 / 181 . 182، سنن الترمذي 5 / 622 ح 3788، المستدرك على الصحيحين 3 / 160 ح 4711 و ج 3 / 613 ح 6272، المعجم الكبير 5 / 166 ح 4969 و ج 5 / 182 ح 5025 و 5026 و ج 5 / 183 ح 5028، الدرّ المنثور 2 / 60.

الصفحة 52

الصفحة 53

الصفحة 54

أمّا أخذ الميثاق هنا لرسول الله بالنبوّة، ولأوصيائه الاثني عشر بالإمامة، فإنّما هو على حدّ ما ذكرناه من أخذ الميثاق لله عزّ وجلّ بالربوبيّة[1].

فإنّه . وله الحمد والمجد . أقام على نبوّة نبيّنا، وإمامة أئمّتنا من الأدلّة القاطعة، والبراهين الساطعة، والآيات،

1- إنّ أوّل ما أخذ الله الميثاق له بالربوبية كان من الأنبياء (عليهم السلام) حين قال تعالى: (وإذ أخذنا من النبيّين ميثاقهم) سورة الأحزاب 33: 7، فذكر جملة من الأنبياء، ثمّ أبرز أفضلهم بالأسامي فقال: (ومنك) يا محمّد، فقدّم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنّه أفضلهم، ثمّ أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على الأنبياء بالإيمان له، وعلى أن ينصروا أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقال في سورة آل عمران 3: 81: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيّين لَما آتيتكم من كتاب وحكمة ثمّ جاءكم رسول مصدّق لِما معكم) يعني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (لتؤمننّ به ولتنصرنّه) يعني أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأخبروا أممكم بخبره وخبر وليّه من الأئمّة (عليهم السلام).

انظر: تفسير القمّي 1 / 248.

والبيّنات، والحجج البالغة المتظاهرة ما لا يتسنّى جحوده، ولا تتأتّى المكابرة فيه[1]، { ولاتَ حينَ مَناص }[2].

فلو فُرض أنّ الله عزّ سلطانه سأل بني آدم . بعد تناصر تلك البيّنات . وأشهدهم على نبوّة نبيّنا وإمامة أوصيائه، لَما وسعهم إلاّ الإقرار لهم والشهادة بالحقّ طوعاً وكرهاً.

ألا ترى البرّ والفاجر، والمسلم والكافر، والمؤمن والمنافق، والناصب والمارق، قد بخعوا لفضلهم، وطَأْطَأُوا لشرفهم، فسطروا الأساطير في مناقبهم، ومَلأُوا الطوامير[3]من خصائصهم، وتلك صحاح أعدائهم تشهد لهم بالحقّ الذي هم أهله ومعدنه، ومأواه ومنتهاه[4].

1- راجع في تفصيل ما أشار إليه المصنّف (قدس سره) من البراهين والبيّنات: ج 3 ـ 6 من " دلائل الصدق "، ففيها شفاء لِما في الصدور.

2- سورة ص 38: 3، ومعنى قوله تعالى: (ولات حين مَنَاص)أي: لا حين مَطْلَب ولا حين مُغاث، وليس الوقت حين منجىً ولا فوت، وهو مصدر ناصَ يَنُوص، وهو الملجأ.

انظر: كتاب العين 7 / 88 مادّة " نص "، مجمع البيان 8 / 304.

3- الطَّوامِير: الصُّحُف، وهي جمع الطامور والطُّومار ; انظر: مادّة " طمر " في: لسان العرب 8 / 200، تاج العروس 7 / 146.

4- انظر مثلا: صحيح مسلم 7 / 119 . 124، مسند أحمد 1 / 77 و 99 و 115 و 118 و 368 و 331، فضائل الصحابة . لأحمد بن حنبل . 2 / 685 . 907 ح 932 . 1247، سنن ابن ماجة 1 / 42 . 45 ح 114 . 121، سنن الترمذي 5 / 590 . 601 ح 3712 . 3737.

وتفصيل الكلام في هذا المقام لا تسعه هذه العجالة، فاكتفِ الآن بهذه الإشارة، فإنّك والحمد لله من الأحرار الأبرار، من أهل البصائر الثاقبة.

ولعلّ الله يوفّقني للتفصيل في كتاب أُفرده لأعلام النبوّة ودلائل الإمامة ; لنستقصي الكلام في هذا المقام، وما توفيقي إلاّ بالله.

* * *

[الإمامـة والولايـة]

وسألتني عن قوله تعالى: **{ حُرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة وما أكل السبُع إلاّ ما ذكّيتم وما ذُبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الّذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشونِ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطُرّ في مخمصة غير متجانف لإثم فإنّ الله غفور رحيم }**[1]..

فقلتَ: هذه آية واحدة مسوقة من أوّلها إلى آخرها لبيان الحكم الشرعي، أعني تحريم هذه الخبائث إلاّ على من اضطرّ في مخمصة غير متجانف لإثم، فإنّ الضرورات تبيح المحظورات.

وإذا كانت مسوقة لبيان الأحكام، فأيّ ربط لها بتعيين الإمام؟!

ولِمَ لا يكون المراد من قوله فيها عزّ من قائل: **{ اليوم**

1- سورة المائـدة 5: 3.

أكملت لكم دينكم } إكمال الأحكام، من حلال وحرام، على ما يقتضيه سياق الكلام؟!

فالجواب:

إنّ من نظر في هذه الآية نظراً سطحياً وجدها في بادئ بدء لا تأبى الحمل على ما ذكرتموه، لكن مَن أنعم[1] النظر فيها، فأعطى التأمّل حقّه، علم أنّ المأثور في تفسيرها عن أئمّة الهدى من آل محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) أليق بسياقها الأخير.

فإنّها لم تبقَ على السياق الأوّل ; لأنّ الله عزّ سلطانه بعد أن حرّم فيها تلك الخبائث، وأكّد تحريمها بقوله عزّ من قائل: **{ ذلكم فسق }**، قال على سبيل الاعتراض: **{ اليوم يئس الّذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشونِ }**..

فربط بهذا على قلوبهم، وثبّت أقدامهم، وأنهضهم إلى الأخذ بأحكام الدين، وشحَذَ عزائمهم على إقامة شرائع الإسلام، ونفخ فيهم من روح الطمأنينة والسكينة ما لا يأبهون معه بالكفّار.

وكان بعض المسلمين قد رهقهم الخوف من مخالفة

1- أَنْعَمَ النظرَ في الشيء: إذا أطال الفكرة فيه ; انظر: لسان العرب 14 / 213 مادّة " نعم ".

الأُمم بما تعبّدهم الله به من حلاله وحرامه وسائر شرائعه وأحكامه، وربّما خافوا من الكفّار أن يلغوا تلك الشرائع بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان الكفّار يطمعون في ذلك، فأراد الله تبارك وتعالى تأمين المسلمين على دينهم، فبشّرهم بقوله وهو

أصدق القائلين: **{ اليوم يئس الّذين كفروا من دينكم }**..

أي بما أنعمت به عليكم من السطوة القاهرة، والدولة المتّسقة، فأصبح الكفّار بها أذلاّء خاسئين، ويئسوا بسببها من تغلّبهم على دينكم، فلن يطمعوا بعد هذا في الاستيلاء عليكم أبداً..

وحيث بلغتم هذه المثابة من العزّ والمنعة فلا تخشوهم، أي لا تخافوا من مخالفتكم إيّاهم في هذه الشرائع وإن نقموها عليكم، واخشوني في ما أمرتكم به ونهيتكم عنه، فخذوا بما أمرتكم به، وذروا ما نهيتكم عنه ولو كره المشركون.

وفي هذا السياق نفسه جاء قوله تعالى: **{ اليوم أكملت لكم دينكم }**، أي بتعيين من يهيمن على الدين بعد خاتم النبيّين والمرسلين، فيقوم مقامه في حفظ بيضته، ونشر دعوته، وقطع دابر من يبتغي السوء به..

{ وأتممتُ عليكم نعمتي } باختيار عليّ لهذه المهمّة، فإنّه القوي الأمين، الذي لا تأخذه في حفظ الدين وأهله لومةُ

لائم، ولا سطوةُ معتد غاشم..

{ ورضيت لكم الإسلام ديناً } قيّماً حكيماً بأُصوله وفروعه، جامعاً مانعاً، عزيزاً بعزّة قوّامه وإمامه بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلا يطمع فيه طامع، ولا يرمقه من أعدائه إلاّ بصرٌ خاشع.

وبعبارة أُخرى: لا ريب في أنّ الكلام البليغ يدخله الاستطراد والاعتراض، أعني تخلّل الجمل الأجنبية بين كلامه المتناسق، فيزده ذلك بلاغةً إلى بلاغته، كما نصّ عليه الأئمّة من علماء البلاغة، واستشهدوا عليه بكثير من الآيات المحكمة والسنن الصحيحة وكلام العرب في الجاهلية، والتفصيل في باب الإيجاز والإطناب والمساواة من علم المعاني[1].

وعليه: فإنّ قوله تعالى: **{ اليوم يئس الّذين كفروا من دينكم }** قد دخل في هذه الآية على سبيل الاعتراض، كما صرّح به الزمخشري في تفسيرها من " الكشّاف "[2]، والحكمة في إدخاله تأمينُ المسلمين على دينهم كما بيّنّاه.

1- الإيجاز: أداء المقصود بأقلّ من عبارة المتعارف، والإطناب: أداؤه بأكثر منها، والمساواة: هي ألاّ يزيد اللفظ على المعنى فتكون وسطاً بين الإيجاز والإطناب.

انظر مثلا: المطوّل: 282 وما بعدها.

2- الكشّاف 1 / 593.

وفي سياق هذا التأمين قال لهم: **{ اليوم أكملت لكم دينكم }**، يعني بجعل الولاية عليه وعليكم بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)لمن يقوم مقامه في حفظ البيضة، والذود عن حياض المسلمين بكلّ رعاية حكيمة، وكلّ عناية عظيمة.

ونحن مهما شككنا فلا نشكّ في عصمة أئمّتنا[1]، وأنّ عندهم علم الكتاب[2]، وما من ريب لأحد في أنّهم أعلم الناس بمفاده..

وقد تواترت نصوصهم الصريحة بأنّ قوله تعالى: **{ اليوم أكملت لكم دينكم }** إلى قوله: **{ ورضيت لكم الإسلام ديناً }** إنّما نزلت في إمامة أمير المؤمنين يوم غدير خمّ، الثامن عشر من ذي الحجّة، سنة عشر للهجرة، والنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قافل من حجّة الوداع بمن كان معه من عشرات

1- راجع ما تقدّم في أوّل المقام الثاني في الصفحة 51 الهامش رقم 2.

2- انظر تفسير قوله تعالى: (ومَن عندَه علمُ الكتاب) سورة الرعد 13: 43، في: تفسير الحبري: 285 . 286 ح 41، تفسير الثعلبي 5 / 303، مناقب الإمام عليّ (عليه السلام) . لابن المغازلي .: 262 ح 258، شواهد التنزيل 1 / 307 . 310 ح 422 . 427، زاد المسير 4 / 261، تفسير القرطبي 9 / 220، ينابيع المودّة 2 / 250 ح 703، الكافي 1 / 254 . 256 ح 603 . 608، دلائل الصدق 5 / 115 . 119.

الأُلوف من المسلمين، قبل وفاته بسبعين يوماً أو أكثر بقليل[1]..

فكمل الدين في خُمّ بإمامة الوصي، كما بدأ في حِراء ببعثة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم).

هذا هو المعلوم بحكم الضرورة من مذهب الأئمّة من أهل البيت . وأهل البيت أدرى بالذي فيه .، وهذا هو الأليق بالسياق، والحمد لله على الوفاق.

على أنّا لا نعلم . كما يشهد الله . بأنّ قوله تعالى: **{ حُرّمت عليكم الميتةُ }** وما بعده إلى قوله: **{ غفور رحيم }**كلّ ذلك آية واحدة!

1- انظر: تاريخ بغداد 8 / 290 رقم 4392، مناقب الإمام عليّ (عليه السلام)ـ لابن المغازلي ـ: 69 ح 24، شواهد التنزيل 1 / 157 ـ 158 ح 211 ـ 212، تاريخ دمشق 42 / 233 و 234 و 237، مناقب الإمام عليّ (عليه السلام) ـ للخوارزمي ـ: 135 ح 152، تذكرة الخواصّ: 36، فرائد السمطين 1 / 74 ح 40، الدرّ المنثور 3 / 19.

وراجع: الكافي 1 / 327 ضمن ح 761، الإرشاد 1 / 175 . 177، تهذيب الأحكام 3 / 143 ح 317، الاحتجاج 1 / 133 . 162، الكشّاف 1 / 593، مجمع البيان 3 / 263.

وقد تناول المحقّق الكبير العلاّمة السيّد علي الحسيني الميلاني . حفظه الله . بالتفصيل حديثَ الغدير في موسوعة " نفحات الأزهار "، الأجزاء 6 . 9 ; فراجع!

ومن أين اليقين بهذا مع العلم القطعي الضروري بأنّ القرآن الحكيم لم يُرتَّب في الجمع على حسب ترتيبه في النزول[1]؟!

ولماذا لا يجوز أن يكون قوله تعالى: **{ اليوم يئس الّذين كفروا من دينكم }** إلى قوله: **{ ورضيت لكم الإسلام ديناً }** آية مستقلّة بنفسها لا ربط لها بغيرها، نزلت على حدة يوم الغدير، ثمّ أقحمها الناس على عهد عثمان وزجّوها في وسط تلك الآية الكريمة ; لغرض لهم، أو لجهل بهم، أو لغير ذلك؟!

وأنت تعلم أنّ المأثور في تفسيرها عن أئمّتنا (عليهم السلام)يوافق كون الجميع آية واحدة كما بيّنّا، ويوافق كونه آيتين[2].

والحمد لله على سطوع البرهان بأجلى بيان!

* * *

1- انظر مفصّلا: تاريخ القرآن ـ لأبي عبد الله الزنجاني ـ، البرهان في علوم القرآن 1 / 192 وما بعدها، الإتقان في علوم القرآن 1 / 175 وما بعدها، تاريخ القرآن ـ لمحمّد حسين الصغير ـ.

2- انظر: تفسير القمّي 1 / 170، مجمع البيان 3 / 264.

[لِمَ لَمْ يصرّح القرآن بخلافة الإمام عليّ (عليه السلام)؟!]

ثمّ سألتني فقلت: لماذا لم يصرّح القرآن المبين تصريحاً واضحاً بخلافة أمير المؤمنين، بحيث لا يُبقي مجالا للتأويل، فتنقطع الخصومة والمنازعة في الإمامة بسبب ذلك من غير حاجة إلى التماس الأحاديث لإثبات إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام)؟!
والجواب يحتاج إلى تمهيد مقدّمة، لها أثرها في تقريبه إلى الأذهان، نقتبسها من (فصولنا المهمّة) و (مراجعاتنا الأزهريّة)[1].
ومجمل القول فيها: إنّ العرب عامّة، وقريشاً خاصّة، كانت ترى أنّ أمير المؤمنين وَتَرَها وسفك دماءها بسيفه، وكشف القناع منابذاً لها، حيث جاهدها في سبيل الله، وقهرها في إعلاء كلمة الله، وقام على ساقه في نصرة الله ورسوله حتّى جاء الحقّ وزهق الباطل على رغم كلّ عات كفور من طغاة العرب وطَغامهم[2].

1- انظر: الفصول المهمّة: 135، المراجعات: 448 المراجعة 84.
2- الطَّغامُ . الواحد والجمع في ذلك سواء .: أراذل الناس وأوغادهم ; انظر: لسان العرب 8 / 169 مادّة " طغم ".

وقد عصبوا به كلّ دم أراقه الإسلام على عهد النبوّة، سواءً كان بسيف أمير المؤمنين أم بسيف غيره!
جروا في ذلك على عاداتهم في أخذ ثاراتهم ; إذ كانوا يعصبون دماءهم بالزعيم نفسه، فإذا فاتهم الزعيم عصبوها بأمثل عشيرته وأفضل أهل بيته، وعليٌّ كان عندهم وعند غيرهم أمثل الهاشميّين برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)وأفضلهم من بعده، لا يدافع ولا ينازع في ذلك أبداً، فهو الذي يجب عندهم أن تُعصب به تلك الدماء بأجمعها، ولذا عصبوها به!
فتربّصوا به الدوائر، وقلّبوا له الأُمور، وأضمروا له ولذرّيّته كلّ سوء، ووثبوا عليهم في كلّ جيل من أجيال هذه الأُمّة العربية كلّ وثبة، وكان ما كان ممّا طار في الأجواء، وطبّقت فجائعه وفظائعه الأرض والسماء.
على أنّ العرب عامّة، وقريشاً بالخصوص، كانوا ينقمون من عليّ شدّة وطأته، ونكال وقعته ; إذ كان شديد الوطأة على أعداء الله، عظيم الوقيعة في مَن يهتك حرمات الله، كما قالت سيّدة نساء العالمين في خطبة لها (عليها السلام):

" وما الذي نقموا من أبي الحسن؟! نقموا والله نكيرَ سيفه، وشدةَ وطأته، ونكالَ وقعته، وتنمُّرَه في ذات الله "[1].
ومن المعلوم أنّ العرب كانوا يرهبون من أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، ويخشون عدله في الرعية، ومساواته بين أفراد البرية، ولم يكن لأحد فيه مطمع، ولا لأحد عنده هوادة، فالناس عنده في حقوقهم سواء، القويّ العزيز عنده ضعيف ذليل حتّى يأخذ الحقّ منه لصاحبه، والضعيف الذليل عنده قويٌّ عزيز حتّى يأخذ له بحقّه[2]، و **{ الأعراب أشدّ كفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله }**[3]..
فمتى يرضيهم هذا العدل **{ ومِن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم }**[4]، وفيها بطانة لا يألونه

1- بلاغات النساء ـ لابن طيفور ـ: 67، معاني الأخبار: 355، الأمالي ـ للطوسي ـ: 375، الاحتجاج 1 / 147 ـ 148، شرح نهج البلاغة 16 / 233، كشف الغمّة 1 / 492 ـ 493، جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) 1 / 166.

2- انظر: نهج البلاغة: 80 رقم 37.

3- سورة التوبة 9: 97.

4- سورة التوبة 9: 101.

خبالا[1]؟!

فهل يألفون الوصيّ، أو يرِدون منهله الرويّ؟!

كلاّ! بل اتّفقوا على جحوده، وأجمعوا على مكاشفته بكلّ صراحة!

وكانوا يحسدونه على ما آتاه الله من فضله[2]، حيث بلغ ـ في علمه وعمله ونصحه وإخلاصه وحسن بلائه ـ رتبةً عند الله ورسوله تقاصرت عنها الأقران، ونال من الله ورسوله ـ بخصائصه من سوابقه ولواحقه ـ منزلةً قد انقطعت دونها المطامع.

وبذلك دبّت عقارب الحسد له في قلوب المتنافسين من الزعماء وكبار القوم، فاجتمعوا على نقض عهده مهما كلّفهم الأمر، ومهما قاسوه من شدّة وعناء.

وكان العرب قد تشوّفوا[3] إلى تداول الخلافة في قبائلهم،

1- مقتبس من قوله عزّ وجلّ: (لا تتّخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خَبالا) سورة آل عمران 3: 118 ; والخَبال: الفساد، أي فيها جماعة لا تُقصِّر في إفساد أمره ; انظر: لسان العرب 4 / 19 مادّة " خبل ".

2- إشارة إلى قوله تعالى: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) سورة النساء 4: 54، المفسَّرة به وذرّيّته المعصومين (عليهم السلام).

3- اشتاف يشتاف اشتيافاً: إذا تطاول ونظر، وتشوّفت إلى الشيء: أي تطلّعت ; انظر: لسان العرب 7 / 238 مادّة " شوف ".

فأمضوا نيّاتهم على ذلك، وشحذوا عزائمهم للقيام به، فتبايعوا على صرف الخلافة ـ بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ عن بني هاشم، مخافة أن لا تخرج عنهم إذا كان الخليفة الأوّل منهم.

وتصافقوا على جعلها من أوّل مرة بالاختيار والانتخاب ; ليكون لكلّ قبيلة من قبائل العرب أمل في الوصول إليها ولو بعد حين.

وتلك مكيدة من ساسة العرب لم تهتد ساسة أُوربّا لمثلها أبداً، كادوا بها عليّاً وسائر الأئمّة من بني هاشم، حيث جمعوا بها قبائل العرب إليهم، وأفردوا بني هاشم عن جميع العرب، إلاّ عن ثلّة من المخلصين.

ومن تتبّع شؤون قريش وسائر العرب على عهد النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) يعلم أنّهم ما كانوا ليصبروا على حصر الخلافة في بيت مخصوص، ولا سيّما إذا كانت في بني هاشم، وخصوصاً إذا تقلّدها عليٌّ أمير المؤمنين!

وهيهات هيهات أن يصبروا على ذلك، وقد طمحت إليها الأطماع من جميع قبائلهم، وحامت عليها النفوس من كلّ أحيائهم..

وقد هزلت حتّى بدا من هزالها كُلاها وحتّى استامها[1] كلُّ مفلسِ[2]

على أنّ مَن أَلَمّ بتاريخ قريش وسائر العرب في صدر الإسلام، يعلم أنّهم لم يخضعوا للنبوّة الهاشمية إلاّ بعد أن تهشّموا ولم يبق فيهم من قوّة، فكيف يرضون في اجتماع النبوّة والخلافة في بني هاشم؟!

وقد قال عمر في كلام دار بينه وبين ابن عبّاس: إنّ قريشاً كرهت أنْ تجتمع فيكم النبوّة والخلافة فتجحفون على الناس[3]!

1- السَّوْمُ: عَرْض السِّلعَة على البيع، ويقال: سُمْتُ فلاناً سِلعتي سوماً إذا قلتَ: أتأخذُها بكذا من الثمن؟ ويقال: اسْتَمْتُ عليه بسلعتي استياماً إذا كنت أنت تذكر ثمنها، ويقال: استامَ منّي بسلعتي استياماً إذا كان هو العارض عليك الثمن ; انظر: لسان العرب 6 / 439 مادّة " سوم ".

2- جمهرة اللغة 2 / 847، وروايته فيها:

وقد ضَمُرَتْ حتّى بَدَتْ من هُزالها كُلاها وحتّى استامها كلُّ مُفْلِسِ

3- ورد هذا الكلام في المناظرة التي دارت بين عمر وابن عبّاس في: تاريخ الطبري 2 / 577 . 578، الكامل في التاريخ 2 / 457 . 458، شرح نهج البلاغة 12 / 52 . 55.

وتتميماً للفائدة ندرج أدناه نصّ ما دار بين عمر وابن عبّاس:

قال ابن عبّاس: بينما عمر بن الخطّاب وأصحابه يتذاكرون الشعر، فقال بعضهم: فلان أشعر ; وقال بعضهم: بل فلان أشعر.

قال: فأقبلتُ، فقال عمر: قد جاءكم أعلم الناس بها ; مَن أشعر الشعراء؟

قال: قلت: زهير بن أبي سُلمى.

فقال: هلمّ من شعره ما نستدلّ به على ما ذكرت.

فقلت: امتدح قوماً من غطفان فقال:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأوّلهم أو مجدهم قعدوا
قوم أبوهم سنان حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
إنسٌ إذا آمنوا، جنٌّ إذا فزعوا مُرَزّأون بهاليلٌ إذا حشدوا
مُحسَّدون على ما كان من نِعَم لا ينزع الله منهم ما له حُسِدوا

فقال عمر: أحسنَ والله، وما أعلمُ أحداً أَوْلى بهذا الشعر من هذا الحيّ من بني هاشم ; لفضل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقرابتهم منه.

فقلت: وُفّقت يا أمير المؤمنين، ولم تزل موفّقاً!

فقال: يا بن عبّاس! أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟!

فكرهت أن أُجيبه، فقلت: إنْ لم أكن أدري فإنّ أمير المؤمنين يدريني.

فقال عمر: كَرِهوا أن يجمعوا لكم النبوّة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووُفّقت.

فقلت: يا أمير المؤمنين! إنْ تأذن لي في الكلام وتُمِطْ عنّي الغضب تكلّمتُ.

قال: تكلّم!

قلت: أمّا قولك . يا أمير المؤمنين .: " اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفّقت " ; فلو أنّ قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود.

وأمّا قولك: إنّهم أبوا أن تكون لنا النبوّة والخلافة ; فإنّ الله عزّ وجلّ وصف قوماً بالكراهة، فقال: (ذلك بأنّهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) [سورة محمّد 47: 9].

فقال عمر: هيهات والله يا بن عبّاس! قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أقرّك عليها لتزيل منزلتك منّي.

فقلت: ما هي يا أمير المؤمنين؟! فإن كانت حقّاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، وإنْ كانت باطلا فمِثلي أماط الباطل عن نفسه!

فقال عمر: بلغني أنّك تقول: إنّما صرفوها عنّا حسداً وبغياً وظلماً.

فقلت: أمّا قولك يا أمير المؤمنين: " ظلماً "، فقد تبيّن للجاهل والحليم.

وأمّا قولك: " حسداً "، فإنّ آدم حُسِد، ونحن وُلده المحسدون.

فقال عمر: هيهات هيهات! أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلاّ حسداً ما يحول، وضغناً وغشّاً لا يزول.

فقتل: مهلا يا أمير المؤمنين! لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً بالحسد والغشّ، فإنّ قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من قلوب بني هاشم.

فقال عمر: إليك عنّي يا بن عبّاس!

فقلت: أفعل.

فلمّا ذهبت أقوم استحيى منّي، فقال: يا بن عبّاس! مكانك! فوالله إنّي لراع لحقّك، محبّ لِما سَرّك.

فقلت: يا أمير المؤمنين! إنّ لي عليك حقّاً، وعلى كلّ مسلم، فمن حفظه فحظّه أصاب، ومن أضاعه فحظّه أخطأ! ثمّ قام فمضى.

وانظر ذلك مفصّلا في: دلائل الصدق 4 / 277 . 296.

وبالجملة: فإنّ أُولئك الطَغام قد نزعوا أيديهم من يد الإمام، وطووا ضلوعهم على عناصر شتّى جيّاشة بالحقد عليه،

متهافتين على جحوده، مسترسلين متتابعين متدفّقين في إطفاء نوره، وإكفاء إنائه، قد ركبوا رؤوسهم في ظلمة، متمادين موغلين ممعنين في الاستئثار بحقّه، لا يلوون في ذلك على أحد، كما تمثّله سيرتهم معه بأجلى المظاهر المحسوسة، لكن **{ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد }**[1]!

إذا عرفت هذا كلّه، تعلم أنّ أمر الإمامة كان حرجاً إلى الغاية ; إذ إنّها من أُصول الدين[2]، فلا بُدّ من تبليغها، ولا مناص عن العهد بها إلى كُفئها على كلّ حال.

وهنا الخطر والإشفاق من الهَرْج والمَرْج[3]، لأنّ أُولئك البغاة كانوا يأبون تبليغها والعهد بها إلى صاحبها كلّ الإباء، وكانوا يصدّون عن ذلك كلّ الصدود، وقد علم الله ما أضمروه من الفتنة في هذا السبيل، وما تأهّبوا وأعدّوا وتجهّزوا له من

1- سورة ق 50: 37.

2- راجع: دلائل الصدق 4 / 211 وما بعدها.

3- الهَرْج: شدّة القتل وكثرته، والفتنة والاختلاط ; انظر مادّة " هرج " في: الصحاح 1 / 350، لسان العرب 15 / 69.

والمَرْجُ: الفِتْنَةُ المُشكِلةُ، والفساد، والخلط، وفي الحديث: كيف أنتم إذا مَرِج الدِّين؟! أي: فسَدَ وقَلِقَت أسبابه ; انظر: لسان العرب 13 / 65 مادّة " مرج ".

والمراد هنا: كثرة الحروب واشتداد الفتن والاضطراب بين الناس.

الوثبة إذا عهد بها النبيّ إلى الوصيّ، وإن كلّفتهم الوثبة ما كلّفتهم، ولزمهم فيها من اللوازم الباطلة ما لزمهم!

لذلك لم تقتضِ حكمته تعالى، ولطفه بعباده، ورفقه بهم، أن يفاجئهم بآية من القرآن ينزلها نصّاً صريحاً جليّاً من كلّ الجهات على الوجه الذي ذكرتموه ; لِما في نزولها على ذلك الوجه من الضرر والخطر!

لأنّها حينئذ . لا محالة . تحرج أُولئك الأوغاد من أهل العَيْثِ[1] والفساد، فتخرجهم على الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)بثورة في الإسلام شعواء، فيها الخطر على الأُمّة، والتغرير بالإمام وبالنبيّ وبالدين كلّه، فروعه وأُصوله.

فإنّهم متى سمعوها **{ جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرّوا واستكبروا استكباراً }**[2] ; لأنّها تقطع خطّ الرجعة عليهم وتوجب يأسهم ممّا أجمعوا عليه، فلا يبقى لهم مطمع حتّى في التمويه والتضليل، المسمّى عندهم

1- العَيْثُ: مصدر عاثَ يَعِيثُ عَيْثاً وعُيوثاً وعَيَثاناً: أفسَدَ وأخذ بغير رفق، وهو الإسراع في الفساد ; انظر: لسان العرب 9 / 491 مادّة " عيث ".

2- سورة نوح 71: 7.

وعند أوليائهم بـ: التأويل[1]، فيكون منهم . بسبب يأسهم . كلّ خطر على الدين وأهله.

وقد ظهرت بوادر ذلك ليلة العقبة إذ دحرجوا الدِّبابَ[2]، ويوم الخميس[3] إذ صدّوه (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الكتاب..

1- أقول: الظاهر هنا أنّه إشارة إلى تأويل بعضهم لكلمة " وليّ "، الواردة في حديث: " مَن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه "، وجَعْلِها مشترك لفظيّ بين معان عديدة ـ منها: النصير، والصديق، والمحبّ، والصهر، والتابع، والحليف، والجار، وكلّ ومن ولي أمر أحد فهو وليّه ـ، والقول بأنّ معنى الحديث أنّ عليّاً نصيركم، أو صديقكم، أو محبّكم بعدي..

فإنّ كلّ هذا كان لإبعاد العباد عن المعنى الحقيقي لكلمة " الولي ".

انظر: رسالة في معنى المولى . للشيخ المفيد .، المراجعات: 254 . 256، دلائل الصدق 4 / 300 . 313.

2- انظر: مسند أحمد 5 / 453، الكشّاف 2 / 203، الخصال 2 / 499 ح 6، الاحتجاج 1 / 127 . 132.

والدَّبَّة: ظرف يُجعل فيه الزيت والبِزْر والدُّهن، والجمع: دِبابٌ ; انظر مادّة " دبب " في: لسان العرب 4 / 278، تاج العروس 1 / 479.

3- إشارة إلى حادثة يوم الخميس في مرض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبيل وفاته، حين طلب كتفاً ودواة من الحاضرين فقال: " هلمّ أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده ".

فقال عمر: إنّ النبيّ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله!

فاختلف من كان في البيت فاختصموا، منهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم النبيّ كتاباً لن تضلوا بعده ; ومنهم من يقول ما قال عمر، فلمّا أكثروا اللغو والاختلاف عند النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قال رسول الله: " قوموا! ".

فكان ابن عبّاس يقول: إنّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم.

انظر تفصيل ذلك أو مضمونه في: صحيح البخاري 7 / 219 ح 30 و ج 9 / 201 ح 134، صحيح مسلم 5 / 75، مسند أحمد 1 / 222.

وقد استوعب السيّد شرف الدين (قدس سره) هذه القضية مفصّلا في: النصّ والاجتهاد: 148 . 163، والفصول المهمّة: 144 . 148 ; فراجع!

{ ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهمّوا بما لم ينالوا وما نقموا إلاّ أن أغناهم الله ورسوله من فضله }[1].

لهذا ولغيره لم تقتضِ حكمة الله تعالى أن يعيَّن الإمام بالآية التي نوّهتم بها، وإنّما اقتضت الحكمة تعيينه بآيات لم تكن على الوجه الذي يحرج أُولئك المعارضين.

وقد أمر الله نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يعهد بالإمامة إلى عليّ (عليه السلام)على وجه يراعي فيه الحكمة، ويتحرّى به المطابقة لمقتضى تلك الأحوال.

فلم يألُ سيّد الأنبياء والحكماء في ذلك جهداً، ولم يدّخر فيه وسعاً، وقد استمرّ في بثّ هذه الروح القدسية بأساليبه الحكيمة العظيمة ثلاثاً وعشرين سنة، منذ بُعث بالحقّ إلى أن

1- سورة التوبة 9: 74.

لحق بالرفيق الأعلى.

إذ كان يورد نصوصه في ذلك متوالية متواترة، من مبدإ أمره إلى انتهاء عمره، بطرق مختلفة في وضوح الدلالة على إمامة أخيه ووصيّه، حسبما فرضته الحكمة عليه ; ومن تتبّع في ذلك سيرته أكبرَ حكمته (صلى الله عليه وآله وسلم) في أداء هذه المهمّة..

صدع بها أوّل بعثته قبل ظهور دعوته بمكّة، حين أنذر عشيرته الأقربين، على عهد بيضة البلد وشيخ الأباطح عمّه أبي طالب[1]، في داره، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم . وقد أخذ برقبة عليّ وهو

1- بَيضةُ البلد وشيخ الأباطح: هو أبو طالب شيخ قريش والهاشميّين ووالد أمير المؤمنين الإمام عليّ (عليه السلام).

قالت أُخت عمرو بن عبد ودّ ترثيه، وتذكر قتلَ عليّ إيّاه يوم الخندق:

لو كان قاتلُ عَمْرو غيرَ قاتلِهِ ما زلتُ أبكي عليه دائمَ الأبدِ
لكنّ قاتلَه مَن لا يُقادُ بِهِ وكانَ يُدعى أبوه بيضةَ البلدِ

انظر: ذيل تاريخ بغداد . لابن النجّار . 17 / 289، شرح نهج البلاغة 1 / 20 . 21، الفصول المهمّة . لابن الصبّاغ .: 62، جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) 2 / 168، الصراط المستقيم 1 / 160.

كما إنّ من معاني بيضة البلد: السَّيِّدُ، والرجلُ الكريم، وواحدُ البلد الذي يُجْتَمعُ إليه ويُقْبَلُ قولُه، والرجلُ الفَرْدُ ليس أحدٌ مثله في شرفه.

انظر مادّة " بيض " في: لسان العرب 1 / 553 و 554، تاج العروس 10 / 21.

وأبو طالب (عليه السلام) هو حامي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكافله، وناصره، الذي رُمي ظلماً بالشرك، وما ذاك إلاّ بغضاً لابنه عليّ (عليه السلام) ; وكيف يكون مشركاً وأحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الثابتة تشهد بإيمانه، ولطالما أثنى عليه النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، كقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما سأله عمّه العبّاس: ما ترجو لأبي طالب؟ قال: كلّ الخير أرجو من ربّي.

مضافاً إلى ذلك الأدلّة الأُخرى، النقلية والعقلية، التي أثبتها الإمامية وغيرهم في عشرات الكتب والرسائل التي ألّفوها لإثبات إيمانه ; ودحض الروايات الواردة في تعذيبه، فهي روايات مكذوبة موضوعة، وأسانيدها معلولة بجرح أحد رواتها أو أكثر، أو بعلّة أُخرى كالإرسال والانقطاع وغيرهما.

راجع في تفصيل ذلك: دلائل الصدق 6 / 196 . 198.

أصغر القوم .: " إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا "[1].

1- راجع تفسير الآية 214 من سورة الشعراء (وأَنذِر عشيرتك الأقربين) في: تفسير الحبري: 348، تفسير الطبري 9 / 483 . 484 ح 26806، شواهد التنزيل 1 / 420 . 421 ح 580، تفسير البغوي 3 / 341 . 342، تفسير ابن كثير 3 / 339، تفسير الدرّ المنثور 6 / 327 . 328.

وانظر أيضاً: فضائل الصحابة . لأحمد بن حنبل . 2 / 807 . 808 ح 1108 و ص 871 ح 1196 و ص 887 ح 1220، السنن الكبرى . للنسائي . 5 / 125 . 126 ح 8451، مسند البزّار 2 / 105 . 106 ح 456، المعجم الأوسط 3 / 241 ح 2836، تهذيب الآثار 4 / 60 ح 50 و ص 62 ح 127، تاريخ الطبري 1 / 542 . 543، العلل الواردة في الأحاديث 3 / 275 رقم 293، المستدرك على الصحيحين 3 / 143 ح 4652، دلائل النبوّة . لأبي نُعيم . 2 / 425 ح 331 قطعة منه، دلائل النبوّة . للبيهقي . 2 / 179 . 180، تاريخ دمشق 42 / 49 . 50، المنقذ من التقليد 2 / 311.

ولم يزل بعدها يدلّل على خلافته ووصايته، تارة بدلالة المطابقة، وأُخرى بالالتزام البيّن بالمعنى الأخصّ[1].

مرّة يكون التدليل بالنصّ الصريح الجلي الغني عن كلّ أمارة وقرينة، ومرّة يكون بظهور اللفظ محفوفاً بالقرائن والأمارات القطعية، وقد يكون بمجرّد الظهور خالياً من القرائن..

تارة يختصّ عشيرته بهذا التدليل..

وتارة يختصّ به نساءه أُمّهات المؤمنين[2]..

وربّما اختصّ به أولياء عليّ (عليه السلام) من المهاجرين، كأبي ذرّ، والمِقداد، وعمّار..

1- المراد: إنّ الأدلّة على إمامة وخلافة ووصاية أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)تكون تارة بالدلالة المطابقية، وهي النصّ ; وأُخرى بالدلالة الالتزامية، أي ما تستلزمه الإمامة، كالعصمة والأفضليّة ; فإذا ثبتت عصمته وأفضليّته على غيره كان لزاماً تقديمه ; لوجوب تقديم الفاضل أو الأفضل على المفضول.

2- انظر: فضائل الصحابة 2 / 720 ح 986، مناقب آل أبي طالب 2 / 46.

ومن الأنصار[1]، كسلمان، وأُبَيّ[2]، وخزيمة[3]، وفروة بن عمر بن وَدَقَة[4].

1- انظر: فضائل الصحابة 2 / 704 ح 962 و ص 762 ح 1052 و ص 846 ح 1162، مناقب الإمام عليّ (عليه السلام) . للخوارزمي .: 112 ح 121، مناقب آل أبي طالب 2 / 32 و 46، الاحتجاج 1 / 297 رقم 52.

2- هو: أُبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك النجّار، ويكنّى أبا المنذر، صحابي أنصاري.

شهد أُبيّ بن كعب العقبة مع السبعين من الأنصار في روايتهم جميعاً، وكان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود، مطّلعاً على الكتب القديمة، يكتب ويقرأ على قلّة العارفين بالكتابة في عصره.

شهد أُبيّ بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلّها مع النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، مات بالمدينة في أيّام عثمان، وقيل أيضاً إنّه مات في أيّام عمر.

انظر: الطبقات الكبرى . لابن سعد . 3 / 378 رقم 174، أُسد الغابة 1 / 61 رقم 34، معرفة الصحابة 1 / 214 رقم 79، معجم رجال الحديث 1 / 333.

3- هو: خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن غبّان ابن عامر بن خطمة، الأنصاري الأوسي.

شهد بدراً وما بعدها من المشاهد كلّها، وكانت راية بني خطمة بيده يوم الفتح، وشهد مع الإمام عليّ (عليه السلام) الجمل وصِفّين، ولمّا استشهد عمّار بن ياسر بصِفّين قال خزيمة: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)يقول: " تقتل عمّاراً الفئة الباغية "، استشهد بعد عمّار في صِفّين سنة سبع وثلاثين.

روى عنه ابنه عمارة أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) اشترى فرساً من سواء بن قيس المحاربي فجحده سواء، فشهد خزيمة بن ثابت للنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما حملك على الشهادة ولم تكن معنا حاضراً؟

قال: صدّقتك بما جئت به، وعلمت أنّك لا تقول إلاّ حقّاً.
فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من شهد له خزيمة أو عليه فحسبه ; فجعل شهادة خزيمة شهادة رجلين.
انظر: الطبقات الكبرى . لابن سعد . 4 / 279 رقم 584، أُسد الغابة 1 / 610 رقم 1446.
4- هو: فروة بن عمرو بن وَدقة بن عُبيد بن عامر بن بياضة، شهد العقبة مع من شهدها من الأنصار، آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بينه وبين عبد الله بن مخرمة العامري، شهد فروة بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، استعمله رسول الله على المغانم يوم خيبر، وكان يبعثه خارصاً للمدينة.
انظر: الطبقات الكبرى . لابن سعد . 3 / 449 رقم 321، أُسد الغابة 4 / 57 رقم 4213.

وقد يختصّ به المنحرفين يومئذ عن عليّ، كبُريدة وعمرو بن شاس الأسلميّين[1]، ووهب بن حمزة[2]، والأربعة الّذين تعاقدوا على شكايته إلى

1- انظر: مسند أحمد 3 / 483، فضائل الصحابة 2 / 716 ح 981 و ص 722 ح 989 و ص 733 ح 1007، البداية والنهاية 5 / 81 و ج 7 / 276.
2- انظر: المعجم الكبير 22 / 135 ح 360، معرفة الصحابة 5 / 2723 رقم 2956، أُسد الغابة 4 / 681 رقم 5477، تاريخ دمشق 42 / 199، الإصابة 6 / 623 رقم 9163، البداية والنهاية 7 / 275، مجمع الزوائد 9 / 109.

النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)[1].
وقد يختصّ به أُولات الفضل من نساء المهاجرين والأنصار، كأسماء بنت عميس[2]، وأُمّ

1- انظر: الأمالي في آثار الصحابة: 79 ح 109، مسند أحمد 4 / 437 . 438، فضائل الصحابة 2 / 749 ح 1035 و 1060، البداية والنهاية 5 / 82 و ج 7 / 274 . 276.
2- انظر: مسند أحمد 6 / 369 و ص 438، فضائل الصحابة 2 / 796 ح 1091، تاريخ 6 / 382.
وأسماء هي: بنت عميس بن معد بن تيم بن الحارث بن كعب بن مالك، أسلمت قبل دخول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دار الأرقم بمكّة وبايعت وهاجرت إلى أرض حبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فولدت له هناك عبد الله ومحمّداً وعوناً.
وروي أنّها لمّا قدمت من أرض الحبشة قال لها عمر: يا حبشيّة! سبقناكم بالهجرة! فقالت: إي لعمري لقد صدقت، كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعلّم جاهلكم وكنّا البُعداء الطُّرداء، أما والله لآتينّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلأذكرنّ ذلك له ; فأتت النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فذكرت ذلك له، فقال: " للناس هجرة واحدة ولكم هجرتان ".

قتل عنها جعفر بمؤتة شهيداً في جمادى الأُولى سنة 8 هـ، فتزوّجها أبو بكر فولدت له محمّداً، وتوفّي عنها أبو بكر فتزوّجها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فولدت له يحيى وعوناً، وماتت بعد استشهاد الإمام عليّ (عليه السلام) نحو سنة 40 هـ.

انظر: الطبقات الكبرى . لابن سعد . 8 / 219 . 223 رقم 4229، حلية الأولياء 2 / 74 رقم 158.

سُلَيم[1]، وأمثالهما.

وكثيراً ما نوّه به على منبره الشريف[2]، وربّما تحدّث به مع بعض أصحابه في البقيع[3]، وقد باح به يوم المؤاخاة[4]، ويوم سدّ الأبواب من

1- هي: ابنة مِلْحان . واسمه: مالك . ابن خالد الأنصارية، وهي أُخت حرام بن ملحان، استُشهد أبوها وأخوها بين يدي النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكانت على جانب من الفضل والعقل، روت عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)أحاديث، وتُعدّ في أهل السوابق، وهي من الدعاة إلى الإسلام، وقد أسلم على يدها أبو طلحة الأنصاري ; إذ خطبها وهو كافر، فأبت أن تتزوّجه أو يسلم، فأسلم بدعوتها، وكان صداقها منه إسلامه.

وكانت أُمّ سُليم تغزو مع النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، فتداوي الجرحى، وتقوم بالمرضى، واتّخذت في غزاة خنجراً لتبقر به بطن مَن دنا إليها من المشركين، وكانت من أحسن النساء بلاءً في الإسلام، ولا تُعرف امرأة سواها كان النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) يزورها في بيتها فتتحفه بالشيء تصنعه له، فقيل له، فقال: " إنّي أرحمها، قُتل أخوها وأبوها معي ".

انظر: معرفة الصحابة 6 / 3504 رقم 4093، الاستيعاب 4 / 1940 رقم 4163، أُسد الغابة 6 / 345 رقم 7471، الإصابة 8 / 227 رقم 12073.

2- انظر: فضائل الصحابة 2 / 771 ح 1066.

3- مناقب الإمام عليّ (عليه السلام) . للخوارزمي .: 88 ح 78، كفاية الطالب 334 ح 977، وانظر: كنز العمّال 11 / 613 ح 32969.

4- انظر: فضائل الصحابة 2 / 740 ح 1019 و ص 765 ح 1055، سنن الترمذي 5 / 595 ح 3720، الطبقات الكبرى . لابن سعد . 3 / 16، السيرة النبوية . لابن هشام . 3 / 36، السيرة النبوية . لابن حبّان .: 149، المستدرك على الصحيحين 3 / 15 . 16 ح 4288 و 4289، الاستيعاب 3 / 1098 ; وانظر: دلائل الصدق 6 / 122 . 132.

المسجد[1]، ويوم توجّهه إلى تبوك[2]، وباح به يوم الطائف[3]، وفي كثير من مغازيه.

1- انظر: مسند أحمد 1 / 175 و 331، فضائل الصحابة 2 / 720 ح 985 ; وراجع تفصيل ذلك في: دلائل الصدق 6 / 105 . 121.

2- انظر: صحيح البخاري 5 / 89 ح 202 و ج 6 / 18 ح 408، صحيح مسلم 7 / 120 كتاب الفضائل / باب فضائل أمير المؤمنين، مسند أحمد 1 / 170 و 173 و 175 و ج 6 / 369 و 438، سنن الترمذي 5 / 596 ح 3724 و ص 599 ح 3730 و 3731، سنن ابن ماجة 1 / 42 . 43 ح 115 و ص 45 ح 121، السنن الكبرى . للنسائي . 5 / 44 ح 8138 . 8143 و ص 119 . 125 ح 8429 . 8449 من طرق كثيرة و ص 240 ح 8780، مسند الطيالسي: 28 و 29 ح 205 و 209، مصنّف عبد الرزّاق 5 / 406 ح 9745 و ج 11 / 226 ح 20390، مسند الحميدي 1 / 38 ح 71، الطبقات الكبرى . لابن سعد . 3 / 16 . 17، مصنّف ابن أبي شيبة 7 / 496 ح 11 . 15 و ج 8 / 562 ح 4.

وراجع مفصّلا: دلائل الصدق 6 / 80 . 88.

3- انظر: مصنّف ابن أبي شيبة 7 / 498 ح 23 و ج 7 / 543 ح 2، مسند أبي يعلى 2 / 165 . 166 ح 859، المستدرك على الصحيحين 2 / 131 ح 2559، تاريخ دمشق 42 / 342، الدرّ المنثور 313، مجمع الزوائد 9 / 163، جواهر العقدين: 238، ينابيع المودّة 2 / 402 ح 53.

وحسبك نصّه يوم عرفات من حجّة الوداع[1]، وصرّح الحقّ يوم الغدير عن محضه[2]، وأسفر الصبح يومئذ لذي عينين كما قال أبو تمّام الطائي[3] . رحمه الله تعالى .، من

1- انظر: سنن الترمذي 5 / 594 ح 3719، مسند أحمد 4 / 164 . 165، المستدرك على الصحيحين 3 / 118 ح 4576 و 4577، المعجم الكبير 5 / 166 . 167 ح 4969 . 4971.

2- انظر مثلا: سنن الترمذي 5 / 591 ح 3713، مصنّف ابن أبي شيبة 7 / 503 ح 55، مسند أحمد 1 / 152، المعجم الكبير 3 / 179 ح 3049، مسند الشاشي 1 / 127 ح 63 و 165 . 166 ح 106، العقد الفريد 3 / 312، تاريخ بغداد 8 / 290، مناقب الإمام عليّ (عليه السلام) للخوارزمي .: 135 ح 152.

3- هو: حبيب بن أوس بن الحارث، الشاعر المشهور، كان أوحد عصره في ديباجة لفظه ونصاعة شعره وحسن أُسلوبه، وله كتاب " الحماسة " الذي دلّ على غزارة فضله وإتقان معرفته بحسن اختياره، وله مجموع آخر سمّاه " فحول الشعراء " جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلام.

وقال العلماء: خرج من قبيلة طيّئ ثلاثة، كلّ واحد مجيد في بابه: حاتم الطائي في جوده، وداود بن نصير الطائي في زهده، وأبو تمّام حبيب بن أوس في شعره.

كانت ولادة أبي تمّام سنة 190، وقيل: 188، وقيل: 172 بجاسم، وتوفّي بالموصل سنة 231، وقيل: إنّه توفّي في ذي القعدة، وقيل: في جمادى الأُولى سنة 228، وقيل: 229، وقيل: في المحرّم سنة 232.

انظر: وفيات الأعيان 2 / 11 رقم 147.

قصيدة له عصماء هي في ديوانه:

ويوم الغدير استوضح الحقَّ أهلُه بفيحاء ما فيها حجابٌ ولا سترُ
يمدّ بضبعيه ويعلم أنّه وليٌّ ومولاكم فهل لكم خبرُ؟!
فكان له جهرٌ بإثبات حقّه وكان لهم في بزّهم حقّه جهرُ [1]

وقال الكميت[2] . رحمه الله تعالى .:

1- ديوان أبي تمّام 1 / 356، ورواية البيت الأوّل في الديوان:

ويوم الغدير استوضح الحقّ أهلُه بفيحاء لا فيها حجاب ولا سرُّ

ومطلع القصيدة:

أطربية حيثُ استـتَبَّت الكُثُبُ العُـفْـرُ رُوَيْدَكِ لا يَغتالُكِ اللّوْمُ والزَّجْرُ

2- هو: الكُميت بن زيد بن خُنَيس بن مجالد، شاعر مقدَّم، عالم بلغات العرب، خبير بأيّامها، من شعراء مُضر وألسنتها، والمتعصّبين على القحطانية، المقارنين المقارعين لشعرائهم، العلماء بالمثالب والأيّام، المفاخرين بها، وكان في أيّام بني أُميّة ولم يدرك الدولة العبّاسية، وكان معروفاً بالتشيّع لبني هاشم، مشهوراً بذلك، وقصائده الهاشميّات من جيّد شعره ومختاره.
وُلد الكميت أيّام استشهاد الإمام الحسين بن عليّ (عليهما السلام) سنة 60، ومات سنة 126 هـ في خلافة مروان بن محمّد، وكان مبلغ شعره حين مات 5289 بيتاً.
انظر: الأغاني 17 / 3 . 44.

ويوم الدوح دوح غدير خُمّ أبان له الخلافة لو أُطيعا
ولكنّ الرجال تبايعوها فلم أر مثلها خطراً مبيعا
ولم أر مثل ذاك اليوم يوماً ولم أر مثله حقّاً أُضيعا[1]

وقال الله تعالى: **{ لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلّبوا لك الأُمور حتّى جاء الحقّ وظهر أمر الله وهم كارهون }**[2].

بهذا الشكل الحكيم بلّغ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر الولاية، وبهذه الطرق السائغة بثّها في أُمّته، تَدرّجَ فيها بأحاديثه المختلفة وأساليبه المتنوّعة تدريجاً تدريجاً على حسب مقتضيات الأحوال في مقامات مختلفة، ودواعي شتّى، لم يفاجئهم دفعة واحدة بكلام يحرجهم ويسدّ عليهم

1- القصائد الهاشميات: 79، ومطلع القصيدة:

نفى عن عينِكَ الأَرَقُ الهجُوعا وهَمٌّ يمتري منها الدُّموعا

2- سورة التوبة 9: 48.

أقطار التمويه، وآفاق التضليل، بل جرى معهم على عادة الحكماء في استدراج المناوئ لهم في الرأي وتبليغه الأمر الذي يأباه.

بهذا خفّض النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) من غُلوائهم[1]، وزجر أحناء طيرهم[2]، ولو بادههم[3] بالأمر دفعة واحدة لَما أَمِنَ من معرّتهم[4]، فكأنّه خدّر بهذا الأُسلوب أعصابهم، فتدرّجوا معه بالقبول شيئاً فشيئاً، حتّى كان يوم الغدير، فأعلن الأمر لتلك الجماهير، وما كان ليعلنه لولا أنّ الله أمره بذلك، وضمِن له العصمة من أذاهم بقوله عزّ من قائل: **{ يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك وإنْ لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس }**[5].

فجمع (صلى الله عليه وآله وسلم) بحكمته البالغة بين تعيين الإمام، وحفظ

1- الغُلْواء ; سرعةُ الشباب وشِرّته، وغُلَواءُ كلّ شيء أوّلُه وشِرَّته ; انظر: لسان العرب 10 / 114 مادّة " غلا ".

2- زجَرَ أحناء طيرهم: أي زجر نواحيهم يميناً وشمالا وأماماً وخلفاً، ويراد بالطير: الخفّة والطيش ; انظر: لسان العرب 3 / 373 مادّة " حنا ".

3- بَدَهَهُ وبادَهَهُ بالأمر: فاجأه بالأمر وباغته به ; انظر: لسان العرب 1 / 347 مادّة " بده ".

4- المعرّة: الأذى ; انظر: لسان العرب 13 / 140 مادّة " معر ".

5- سورة المائدة 5: 67.

الأمن والنظام!

وما كان المعارضون يحسبون أن يقف موقفه يوم الغدير أبداً، فلمّا وقف هذا الموقف وأدّى فيه عن الله ما أدّى، رأوا أنّ معارضته . في آخر حياته وقد بخعت[1] العرب لطاعته . لا تجديهم نفعاً، بل تجرّ عليهم الويلات ; لأنّها توجب إمّا سقوطهم بالخصوص، أو

سقوط الإسلام والعرب عامّة، فيفوتهم الغرض الذي كانوا يأملون، والمنصب الذي كانوا له يعملون!
لهذا رأوا أنّ الصبر عن الوثبة أحجى، فأجمعوا على تأجيلها إلى وقتها بعد وفاة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم).
وهكذا كان الأمر، وأوحى الله عزّ وجلّ إلى نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم)بما يضمرون، وأطلعه على ما سيكون[2].
لكنّ الدين لا بُدّ من إكماله، والنعمة لا بُدّ من إتمامها، والرسالة لا بُدّ من أدائها.. **{ ليهلك من هلك عن بيّنة**

1- بخَعْتَ له: تذلّلْتَ وأطعتَ وأقرَرْتَ وخضعتَ ; انظر: لسان العرب 1 / 332 مادّة " بخع ".
2- انظر: الخصال 4 / 499، الاحتجاج 1 / 127 . 132، مجمع البيان 5 / 84.

ويحيى من حَيَّ عن بيّنة }[1].. **{ وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين }**[2].
نعم، عهد لوصيّه وخليفته من بعده، أن يتغمّدهم . حين يعارضونه . بسعة ذرعه، ويتلقّاهم بطول أناته، وأمره أن يصبر على استئثارهم بحقّه، وأن يتلقّى تلك المحنة بكظم الغيظ والاحتساب، احتياطاً على الإسلام، وإيثاراً للصالح العامّ.
وأمر الأُمّة بالصبر على تلك الملمّة، كما فصّلناه في كتاب " المراجعات "[3].
وحسبك ممّا صحّ من أوامره بذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) . في حديث حذيفة بن اليمان[4] .: " يكون بعدي أئمّة لا يهتدون بهداي، ولا يستنّون بسُنّتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس ".

1- سورة الأنفال 8: 42.
2- سورة المائدة 5: 99.
3- المراجعات: 437 المراجعة 82.
4- في ما أخرجه مسلم ص 120 من الجزء الثاني من صحيحه، ورواه أصحاب السنن كلّهم. منه (قدس سره).
وانظر: صحيح مسلم 6 / 20 كتاب الإمارة / باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، السنن الكبرى . للبيهقي . 8 / 157، فتح الباري 13 / 66، كنز العمّال 11 / 223 ح 31305.

قال حذيفة: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟
قال: " تسمع وتطيع للأمير وإنْ ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع له وأَطِع "[1].
ومثله قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث عبد الله بن مسعود[2]: " ستكون بعدي أثَرة وأُمور تنكرونها ".
قالوا: يا رسول الله! كيف تأمر من أدرك منّا ذلك؟
قال (صلى الله عليه وآله وسلم): " تؤدّون الحقّ الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم ". انتهى.

وكان أبو ذرّ يقول[3]: إنّ خليلي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

1- إنّ من عرف ما ألمّ بالمسلمين عند فقد النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) يعلم أنّ ذلك الوقت لا يسع نزاعاً، ولا يليق به إلاّ الصبر على الأذى، والغضّ على القذى ; لأنّ نزاع المسلمين يومئذ يؤدّي إلى اضمحلالهم ; ولذا أمرهم النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بالصبر. منه (قدس سره).

أقول: هذا إذا صحّ ذيل هذا الحديث، فيُحمل على تلك الفترة العصيبة التي تبعت وفاة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإلاّ فإطلاقه باطل ; لأنّه يدعو للخضوع للظلم والظالم! ومنه يُعلم حال الأحاديث التالية وما يشبهها.

2- وقد أخرجه مسلم في ص 118 من الجزء الثاني من صحيحه. منه (قدس سره).

وانظر: مشكاة المصابيح 2 / 335 ح 3672.

3- في ما أخرجه عنه مسلم أيضاً في الجزء الثاني من صحيحه. منه (قدس سره).

وانظر: صحيح مسلم 6 / 14، شرح السُنّة 6 / 42.

أوصاني أن أسمع وأُطيع وإنْ كان عبداً مجدّع الأطراف. انتهى.

وقال سلمة الجعفي[1]: يا نبيّ الله! أرأيت إن قامت علينا أُمراء يسألوننا حقّهم ويمنعوننا حقّنا فما تأمرنا؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): " اسمعوا وأطيعوا، فإنّما عليهم ما حُمّلوا وعليكم ما حُمّلتم ".

وعن أُمّ سلمة، أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: " ستكون أُمراء عليكم فتَعرفون وتُنكِرون، فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم "[2].

قالوا: أفلا نقاتلهم؟!

قال: " لا، ما صلّوا ".

والصحاح في هذا متواترة، ولا سيّما من طريق العترة

1- في ما أخرجه عنه مسلم، وهذه الأحاديث كلّها مستفيضة. منه (قدس سره).

انظر: صحيح مسلم 6 / 19 كتاب الإمارة / باب في طاعة الأُمراء وإن منعوا الحقوق، مشكاة المصابيح 2 / 335 ح 3673.

2- هذا الحديث أخرجه مسلم في ص 122 من الجزء الثاني من صحيحه ; والمراد بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): " فمن عرف برئ " أنّ من عرف المنكر ولم يشتبه عليه فقد صار له طريق إلى البراءة من إثمه وعقوبته بأن يغيّره بيده أو بلسانه، فإن عجز فليكرهه ولينكره بقلبه. منه (قدس سره).

وانظر: شرح السُنّة 6 / 38 ح 2459، مشكاة المصابيح 2 / 334 ح 3617.

الطاهرة ; ولذا صبروا (عليهم السلام) وفي عيونهم قذىً، وفي حلوقهم شجىً، عملا بهذه الأوامر المقدّسة وغيرها ممّا عهده النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) إليهم بالخصوص، حيث أسرّ إليهم أن يصبروا على الأذى، ويغضوا على القذى، احتياطاً منه على الأُمّة، واحتفاظاً بالشوكة، وإيثاراً للدين، وضنّاً بريح المسلمين.

فكانوا . كما قلناه في " المراجعات "[1] . يتحرّون للقائمين بأُمور الأُمّة وجوه النصح، وهم . من استئثارهم بحقّهم . على أمرّ من العلقم، ويتوخّون لهم مناهج الرشد، وهم . من تبوّئهم عرشهم . على آلم للقلب من حزِّ الشِفار[2]، تنفيذاً للعهد، وعملا بمقتضى العقد، وقياماً بالواجب شرعاً وعقلا، من تقديم الأهمّ . في مقام التعارض . على المهمّ..

ولذا محض أمير المؤمنين كلاًّ من الخلفاء الثلاثة نصحَه، واجتهد لهم في المشورة.

فإنّه بعد أن يئس من حقّه في الخلافة شقّ بنفسه طريق الموادعة، وآثر مسالمة القائمين بالأمر.

1- المراجعات: 441 ضمن المراجعة رقم 82.

2- الشِّفارُ والشَّفْرُ، جمع: الشَّفْرَةُ: وهي السِّكّين العريضة العظيمة.. وشَفَرات السيوف: حُروف حَدّها ; انظر: لسان العرب 7 / 150 مادّة " شفر ".

فكان يرى عرشه . المعهود به إليه . في قبضتهم، فلم يحاربهم عليه، ولم يدافعهم عنه، احتفاظاً بالأُمّة، واحتياطاً على الملّة، وضنّاً بالدين، وإيثاراً للآجلة على العاجلة[1]، وقد مُني بما لم يُمْنَ به أحد، حيث وقف بين خطبين فادحَين:

الخلافة بنصوصها وعهودها إلى جانب، تستصرخه وتستفزّه إليها بصوت يدمي الفؤاد، وشكوىً تفتّت الأكباد..

1- أفصح أمير المؤمنين الإمام عليّ (عليه السلام) . عمّا أجمله المصنّف (قدس سره) في المتن . عن تظلّمه في خطبه ; فقال يوماً:

" أمَا والله لقد تقمَّصَها فُلانٌ وإنّه ليعلمُ أنّ مَحلّي منها محلُّ القُطبِ من الرحا، ينحدر عَنّي السَّيلُ، ولا يَرْقى إليَّ الطَّيرُ ; فَسَدَلْتُ دونها ثوباً، وطويتُ عنها كشحاً، وطفِقْتُ أرْتَئي بَيْنَ أنْ أَصُولَ بيد جَذّاء، أو أَصْبِرَ على طَخْيَة عَمْياءَ، يَهرَمُ فيها الكبيرُ، ويَشيبُ فيها الصَّغيرُ، وَيَكْدَحُ فيها مُؤمنٌ حَتّى يَلْقى رَبّهُ!

فرأيتُ أنَّ الصَّبرَ على هاتا أحجى، فصَبَرْتُ وفي العَينِ قَذىً، وفي الحلْقِ شجاً، أرى تُراثي نهباً ".

انظر: نهج البلاغة: 48 الخطبة رقم 3 والمعروفة بـ " الشقشقية ".

وقال (عليه السلام) لمّا عزموا على بيعة عثمان: " لقد عَلِمْتُمْ أنّي أحَقُّ النَّاسِ بِها مِنْ غَيْري ; وَوَاللهِ لأُسْلِمَنَّ ما سَلِمَتْ أُمورُ المُسلمينَ ; وَلَمْ يَكُنْ فِيها جَوْرٌ إلاّ عَلَيَّ خاصَّةً، التماساً لأجْرِ ذلك وفضلِهِ، وَزُهداً في ما تنافستُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ ".

انظر: نهج البلاغة: 102 الخطبة رقم 74.

والفتن الطاغية إلى جانب آخر، تُنذره بانتقاض الجزيرة وانقلاب العرب واجتياح الإسلام..

وتُهدّده بالمنافقين من أهل المدينة وقد مردوا على النفاق، وبمن حولهم من الأعراب، وهم منافقون بنصّ الكتاب[1]، بل هم أشدّ كفراً ونفاقاً، وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله[2]..

وبأهل مكّة الطلقاء[3]، مضمري العداوة والبغضاء، ومَن كان على شاكلتهم مِن ضواري الفتنة، وطواغي الغيّ، وسباع الغارة، وأعداء الحقّ، وقد قويت بفقد النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)شوكتهم ; إذ صار المسلمون بعده (صلى الله عليه وآله وسلم) كالغنم المَطيرة في الليلة الشاتية بين ذئاب عادِيَة ووحوش ضارية..

1- إشارة إلى الآية المباركة: (ومِمّنْ حولَكُمْ مِنَ الأعراب منافقون ومِن أهل المدينة مَردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرّتين ثمّ يردّون إلى عذاب عظيم) سورة التوبة 9: 101.

2- إشارة إلى الآية المباركة: (الأعراب أشدّ كفراً ونفاقاً وأجدر ألاّ يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم) سورة التوبة 9: 97.

3- انظر سبب تسمية أهل مكّة بالطلقاء: تاريخ الطبري 2 / 161، مجمع البيان 10 / 425.

ومسيلمة الكذّاب[1]، وطليحة بن خويلد الدجّال[2]، وسَجاح بنت الحرث الأفّاكة[3]، وأصحابهم، قائمون في محق

1- هو: مُسيلمة بن حبيب من بني تميم، متنبّئ، كان يسجع لقومه السجعات مضاهاةً للقرآن، وضع عنهم الصلاة، وأحلّ لهم الخمر والزنا.

وُلد باليمامة قبل ولادة والد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، كان من المعمّرين، تلقّب بالجاهلية بـ " الرحمن "، وعرف بـ " رحمن اليمامة "، قالوا في وصفه: كان رُوَيْجِلا، أُصيغر، أُخينس، كان اسمه مَسْلَمة، وسمّاه المسلمون مُسيلمة تصغيراً له، قُتل في غزوة اليمامة عام 12 هـ وكان عمره آنذاك 150 سنة.

انظر: تاريخ الطبري 2 / 199 . 200، تاريخ الخلفاء . للسيوطي .: 89، شذرات الذهب 1 / 23.

2- هو: طُليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الأشتر الأسدي، شهد معركة الخندق مع الأحزاب، وأسلم سنة 9 هـ، ثمّ ارتدّ وادّعى النبوّة في عهد أبي بكر، ثمّ كانت له وقائع كثيرة مع المسلمين، ثمّ خذله الله وهرب حتّى لحق بأعمال دمشق، ونزل على آل جَفْنَة، ثمّ أسلم وقدم مكّة معتمراً، ثمّ خرج إلى الشام مجاهداً، وشهد اليرموك، وشهد بعض حروب الفرس، وقُتل بنهاوند سنة 21 هـ.

انظر: الاستيعاب 2 / 773 رقم 773، أُسد الغابة 2 / 477 رقم 2639، تاريخ دمشق 25 / 149 . 172 رقم 2992، الإصابة 3 / 542 رقم 4294.

3- سجاح: هي بنت الحارث بن سويد . وقيل: بنت غطفان . التغلبية التميمية، تكنّى أُمّ صادر، كانت رفيعة الشأن في قومها، شاعرة أديبة، عارفة بالأخبار، لها علم بالكتاب أخذته عن نصارى تغلب، وكانت متكهّنة قبل ادّعائها النبوّة، وهي مع ادّعائها النبوّة فقد كذّبت بنبوّة مسيلمة الكذّاب، ثمّ آمنت به، فتزوّجها من غير صداق! ثمّ أصدقها بأن وضع عن قومها صلاتَي الفجر والعشاء الآخرة!!

وقيل إنّها عادت إلى الإسلام بعد مقتل مسيلمة، فأسلمت وهاجرت إلى البصرة، وتوفّيت بها في زمان معاوية نحو سنة 55 هـ.
انظر: مروج الذهب 2 / 303، الإصابة 7 / 723 رقم 11361، البداية والنهاية 6 / 239 . 241 حوادث سنة 11 هـ، تاريخ الخميس 2 / 159، لسان العرب 6 / 174 مادّة " سجح "، الأعلام 3 / 78.

الإسلام وسحق المسلمين على ساق..
والرومان والأكاسرة، وغيرهما من ملوك الأرض، كانوا للمسلمين بالمرصاد..
إلى كثير من هذه العناصر الجيّاشة بكلّ حنق[1] من محمّد وآله وأصحابه (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبكلّ حقد وحسيكة[2] لكلمة الإسلام، تريد أن تنقض أساسها، وتستأصل شأفتها، وإنّها لنشيطة في ذلك مسرعة متعجّلة، ترى أنّ الأمر قد استتبّ لها، وأنّ الفرصة بفقد النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قد حانت، فأرادت أن تسخّر تلك الفرصة، وتنتهز تلك الفوضى قبل أن يعود الإسلام إلى قوّة وانتظام.
فوقف أمير المؤمنين بين هذين الخطرين، فكان من

1- الحَنَقُ: شدّة الاغتياظ، والجمع حِناقٌ ; انظر: لسان العرب 3 / 364 مادّة " حنق ".
2- الحَسِيكة: العداوة والغضب ; انظر: لسان العرب 3 / 175 مادّة " حسك ".

الطبيعي له أن يضحّي حقّه قرباناً لدين الإسلام وإيثاراً للصالح العامّ ; لذلك قعد في بيته، فلم يبايع حتّى أخرجوه كرهاً[1]، احتفاظاً بحقّه، واحتجاجاً على المستأثرين به وعلى أوليائهم.
ولو أسرع إلى البيعة ما قامت له حجّة، ولا سطع لأوليائه برهان، لكنّه جمع في ما فعل بين حفظ الدين، والاحتفاظ بحقّه في إمرة المؤمنين، فدلّ هذا على أصالة رأيه، ورجاحة حلمه، وسعة صدره، وإيثار المصلحة العامّة بحكمة بالغة.
ومتى سخت نفس امرئ عن هذا الخطب الجليل والأمر العظيم، ينزل من الله تعالى بغايةِ منازل الدين، وإنّما كانت غايته ممّا فعل أربح الحالين له، وأعوَد المقصودين عليه بالثواب والقرب من ربّ الأرباب.
وإنّي والله لأعجب من هذه الأُمّة لا تقدّر هذه التضحية، ولا تُكْبِر هذا السخاء في سبيل الله!
على أنّ صَمَمَهم عن نصوص الإمامة، وعهود الوصيّة، وقد شَحنت صحاحهم، وملأت مسانيدهم لأعجب وأغرب!!
وما أبعدهم عن الصواب إذ يقولون: ما عهدَ النبيّ إلى

1- انظر: الإمامة والسياسة 1 / 28 . 33، تاريخ الطبري 2 / 233، الكامل في التاريخ 2 / 189.

أحد، وما أوصى بشيء!

أفلا يتدبّرون سننهم؟! فإنّها تثبت ما جحدوا، كما تفصّله (مراجعتنا)[1].

ومن وقف على مذهبهم في الإمامة، ثمّ تتبّع حديثهم، رأى التناقض بينهما بأجلى مظاهره، ضرورة أنّ مذهبهم في هذه المسألة يعارض حديثهم في خصائص عليّ وأهل البيت، وحديثهم في الخصائص يناقض مذهبهم في هذه المسألة، فهما لا يتجاريان في حلبة، ولا يتسايران إلى غاية، وهذه جملة تفصّلها (مراجعاتنا)[2]، فلا مندوحة للباحثين المدقّقين عن الوقوف عليها.

وقد علم الباحثون المتتبّعون أنّا لم ننفرد عن الجمهور . في مذهبنا كلّه . برأي إلاّ ولنا عليه دليل من طريقهم قاطع، كما سنثبته في كتاب نفرده لهذا الموضوع إن شاء الله تعالى.

1- المراجعات: 203.

2- المراجعات: 297، المراجعة 49.

أمّا إمامة عليّ (عليه السلام)..

فقد ذكرنا اعتراف الجمهور بصدور النصّ عليها في مبدإ البعثة النبوية يوم الإنذار في الدار، وأشرنا إلى ما رووه بعد ذلك من النصوص المتّصلة المتتابعة من أوّل أمره إلى انتهاء عمره، حتّى قال في مرضه والحجرة غاصّة بأصحابه . كما يصرّح به حديثهم .: " أيّها الناس! يوشك أن أُقبض قبضاً سريعاً فينطلقون بي، وقد قدّمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا وإنّي مخلّف فيكم كتاب ربّي عزّ وجلّ وعترتي ".

ثمّ أخذ بيد عليّ فقال: " هذا عليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، لا يفترقان ".. الحديث[1].

وهو من خواتيم السُنّة، ولله الحمد والمنّة[2].

وأمّا إمامة الأئمّة من العترة..

فحسبك دليلا عليها أنّهم بمنزلة الكتاب، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

1- الصواعق المحرقة: 194، وقريب منه ما في المستدرك على الصحيحين 3 / 613 ح 6272.

2- إنّ كتاب " المراجعات " يضمن تبيين ما أجملناه في هذه العجالة، وتفصيل ما أشرنا إليه مع تعيين المصادر بكلّ وضوح. منه (قدس سره).

خلفه[1]..

وأنّهم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق[2]..

وأنّهم كباب حطّة، من دخله كان مؤمناً[3]..

وأنّهم أمان أهل الأرض من العذاب، وأمان هذه الأُمّة من الاختلاف في الدين، وأنّ من خالفهم كان من حزب إبليس[4]..

وأنّ من تقدّمهم هالك، ومن قصّر عنهم هالك[5].

.. إلى آخر ما ذكرناه في " المراجعات "[6] من الأدلّة على إمامتهم ووجوب طاعتهم.

وأمّا حصر الخلافة في اثني عشر..

فقد نصَّ عليه سيّد البشر، في ما أخرجه البخاري

---

1 و 2- مرّ تخريجهما في الصفحتين 53 . 54 ; فراجع!

3- المعجم الكبير 3 / 46 ح 2637، المعجم الأوسط 4 / 104 ح 3478 و ج 6 / 147 ح 5870، كفاية الطالب: 378 . 379، فرائد السمطين 2 / 242 ح 516، مجمع الزوائد 9 / 168، الصواعق المحرقة: 352.

4- المستدرك على الصحيحين 3 / 162 ح 4715، ذخائر العقبى: 49، الصواعق المحرقة: 351 باب الأمان ببقائهم.

5- المعجم الكبير 3 / 66 ح 2681.

6- المراجعات: 26 المراجعة 8.

ومسلم في صحيحيهما، وأبو داود وأحمد بن حنبل والبزّار، وغيرهم، بطرق كثيرة إلى جابر بن سمرة[1]..

وأخرجه أحمد والبزّار بسند صحيح إلى ابن مسعود[2]..

وهو من الأحاديث المجمع على صحّتها عندهم، وقد ارتبكوا في معناه فطاشت سهامهم[3]!

وبالجملة: فإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يُبقِ غاية إلاّ أوضح سبيلها، ولم يَدَع آبِدة[4] إلاّ أقام دليلها، حتّى ترك أُمّته على الحنيفية البيضاء، ليلها كنهارها، ما تركهم في جهالة، ولا أهملهم ليكونوا بعده في ضلالة، ولا أوكلهم إلى أهوائهم، ولا تركهم يسرحون على غُلَوائهم، بل ربطهم بثِقْلَيه، وعصمهم بحبليه، حيث جعل أئمّة عترته الاثني عشر أعدال

1- صحيح البخاري 9 / 147 ح 79 كتاب الأحكام، صحيح مسلم 6 / 3 كتاب الإمارة، سنن أبي داود 4 / 103 ح 4279 و 4280، مسند أحمد 5 / 86، مسند البزّار 10 / 173 ح 4247 و 4248 و ص 194 . 195 ح 4279 . 4281 و ص 197 ح 4284، سنن الترمذي 4 / 434 ح 2223، المعجم الكبير 2 / 196 ح 1794.

2- مسند أحمد 1 / 398 و 406، مسند البزّار 5 / 320 ح 1937 و 1938.

3- انظر تفصيل ذلك في: دلائل الصدق 6 / 264 . 282.

4- الآبدة: الكلمة أو الفِعلة الغريبة، والداهية التي يبقى ذِكرها على الأبد ; انظر: لسان العرب 1 / 41 مادّة " أبد ".

كتاب الله، وأنزلهم منزلته من ربّه[1]، ومن الأُمّة بمنزلة الرأس من الجسد[2].

* * *

{ ربّنا آمنّا بما أنزلت واتّبعنا الرسول
فاكتبنا مع الشاهدين }
{ ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا
وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهّاب }

* * *

والحمد لله أوّلا وآخراً،
وصلّى الله على محمّد وآله، وسلّم تسليماً كثيراً.

* * *

تمّت الكلمة في مدينة صور،
يوم الاثنين، منتصف ربيع الثاني،
سنة ألف وثلاثمئة وستّين للهجرة المباركة،
بقلم أصغر خدمة الدين:
عبد الحسين بن يوسف بن الجواد بن إسماعيل

1- الصواعق المحرقة: 270.
2- الصواعق المحرقة: 193 ح 35.

ابن محمّد بن محمّد بن إبراهيم شرف الدين
ابن زين العابدين بن علي نور الدين بن
نور الدين علي بن الحسين

الموسوي العاملي،

عاملهم الله بلطفه.

{ وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين }

* * *